ملاحـــق

obeikandl.com

الملحق الأول

نماذج المحاضرات

لم تتقرر إضافة هذا الجزء إلا بعد تفكير طويل. فإن الحجج التى تقف فى وجهه بينة شديدة الوضوح، إذ لا توجد مجموعة نموذجية من المحاضرات تناسب جميع المستمعين أو جميع المتكلمين. وكل حديث ينبغى أن يوضَّح بما يلائم الظروف المحيطة بالمستمعين ولابد من أن يعكس شخصية المحاضر، إذ أن تأثير الحديث ومدى اقتناع المستمعين به إنما يتوقف على تقدير المحاضر لظروفهم وعلى حيوية المحاضرة. وبالإضافة إلى هذا فهناك خطورة تنجم عن كون بعض القراء ممن تعوزهم الشخصية المطلوبة لهذا الشأن، أو المعلومات والفهم الصحيح، قد يحاولون أن يطرقوا ميدان التربية الجنسية عن ذلك الطريق البالغ الضرر، ألا وهو نقل محاضرات تامة الإعداد. ولكن فى مقابل هذا هناك الرغبة الصادقة التى أبداها كثير من المربين فى مثل هذا المرشد الذى لا يتخذ بديلا من التفكير الشخصى الخاص، بل يدعم هذا التفكير بنتائج الخبرة السابقة. وعلى كل حال فإنه يبدو من الخير التعرض للخطر الأول فى سبيل تحقيق الخدمة الثانية.

والمحاضرات الواردة هنا مكتوبة بالنص الذى ألقيت به، وعلى ذلك فهى مكتوبة بلغة سهلة عن قصد، ويسبق كل محاضرة وصف للظروف التى قيلت فيها.

وجمهور المستمعين يشمل النوعين اللذين يخاطبهما رواد الشباب والمدرسون عادة، وهما أعضاء منظمات الشباب وآباء التلاميذ وأمهاتهم.

المحاضرة الأولى

وهذه هى المحاضرة الأولى فى سلسلة من ثلاثة أحاديث وجهت إلى المراهقين الكبار وصغار البالغين، وقد كان الجمهور مختلطاً من الجنسين، وقد استخدم فيلم «الجنس فى الحياة» كوسيلة توضيحية. وكان الغرض من هذه المحاضرة تحقيق تبادل الثقة بين المحاضر وجمهور المستمعين قبل الخوض فى المحاضرات التالية فى تفاصيل أكثر عمقاً عند الكلام عن الجنس عند الإنسان، وذلك بإعطاء أساس بيولوجى يمكن فى ضوئه أن ينظر إلى الحياة الجنسية عند الإنسان نظرة مناسبة بالإضافة إلى تزويد المستمعين بالحد الأدنى من المصطلحات العلمية التى تمكنهم من الكلام فى موضوع الجنس دون استخدام الألفاظ المبتذلة. وفيما يلى نص المحاضرة:

يسرنى أبلغ السرور أن تتاح لى فرصة الحضور إلى هنا فى هذه الأمسيات الثلاث، وأن أناقش معكم المسألة الجنسية من جميع نواحيها. ومن الواضح أنها مسألة هامة جديرة بالبحث لأن الجنس يلعب فى حياة أغلب الناس دوراً هاماً. وطبيعى أنه ليس بالشىء الوحيد فى الحياة كما تحاول بعض الروايات والأفلام أن تصوره لنا. فبعض الرجال يعيشون طوال حياتهم دون ممارسة الاتصال الجنسى الجثمانى ومع ذلك فهم يحيون حياة كاملة سعيدة ومفيدة أيضاً. ومع ذلك فإن الجنس شىء هام، وإنه من العلامات الطيبة أن يجتمع شباب الجنسين معاً ليستنيروا فى هذا الموضوع كما تفعلون أنتم الليلة.

وسوف يكون اجتماع الليلة مختلطاً يحضره الرجال والنساء – كما جاء فى الإعلان عن هذه الاجتماعات – لأننا نرغب فى أن نعرض مقدمة عامة للمسألة الجنسية كلها وهو ما يهمنا جميعاً نساء ورجالا على حد سواء. ولكيلا يملّ أحد منكم أو يستاء – ظنا منه أننى أطنب وأطيل قبل أن أصل إلى لب الموضوع – أصارحكم فى الحال بأننى لن أتعرض الليلة كثيراً للمسألة الجنسية عند الإنسان، وإنما سيكون اهتمامى على الأكثر بالكائنات الأخرى. وأنا أعلم أنكم لم تحضروا إلى هنا كى تسمعوا حديثاً عن الضفدعة والأرنب وما إلى ذلك! فمن الواضح أن هذه الأمور ليست هى التى تستحوذ على اهتمامكم، برغم أنها فى الواقع تستدعى الكثير من الاهتمام. ومن الطبيعى أننا أكثر اهتماماً بمعرفة أنفسنا نحن البشر، ومع ذلك فإنى أفضل فى هذا الاجتماع الأول أن أتحدث عن قليل من الحيوانات الأبسط من الإنسان، والموقف يشبه سلسلة من المحاضرات فى أى موضوع آخر. فلو أن محاضراتنا الثلاث كانت عن الآلة ذات الاحتراق الداخلى لكنتم تتوقعون من المحاضر أن يبدأ بشرح النماذج المبسطة ثم يتدرج حتى يصل إلى الأجهزة المعقدة. وكذلك الحال فى موضوعنا، فلابد من أن نتدرج من الحيوانات البسيطة حتى نصل إلى أنفسنا أى إلى الإنسان الذى هو أرقى الثدييات.

وفى الأسبوع المقبل سوف نتعمق أكثر من موضوع التناسل فى الإنسان الذى سأكتفى بلمسه لمساً رفيقاً هذا المساء، وسوف يجتمع الذكور والإناث كل على انفراد فى الاجتماع المقبل، ولكن هذا لا يعنى أننا سنعالج فى الاجتماعين أشياء متباينة شديدة الاختلاف. فالرجال والنساء يرغبون فى معرفة نفس الحقائق عن الجنسين، ولكن عندما يعالج المرء موضوع الجنس فى الإنسان فإنه على الرغم من رغبة الرجال والنساء فى معرفة نفس المعلومات عن الجنسين إلا أنه هناك أشياء معينة لها أهمية خاصة لدى النساء وأخرى ذات أهمية خاصة لدى الرجال، فإذا فصلنا بينهما فى الاجتماع التالى فسوف نقوم بهذه المهمة بسرعة أكبر.

فإذا ما انتهينا من توضيح النواحى التى لها أهمية خاصة عند جنس دون الآخر، فسوف نعود فى المحاضرة الأخيرة لنجتمع مرة أخرى، وذلك لمناقشة المشكلات الأخرى مثل العلاقة بين الجنسين، تلك العلاقة التى تهم الرجال والنساء سواء بسواء.

لم آت الليلة لكى أعطيكم درساً فى علم الأحياء، ولكنى أعتقد أنه من المفيد أن أناقش فى الاجتماع الأول العلاقة بين الجنس والتناسل من جميع نواحيها فى النباتات والحيوانات. وكثيراً ما يجد الناس – حتى من يظنون أنهم يعلمون كل شىء خاص بهذا الموضوع – أن أفكارهم عن الجنس والتناسل غامضة مشوهة. فمن المفيد أن ننظر فى الأمر ملياً لنحاول أن نتبين ماهية العلاقة بين الجنس والتناسل بصورة دقيقة. لعل الكثيرين قد ذهبوا إلى الاعتقاد بأنه لا يوجد اختلاف ذو بال بين الكلمتين. والواقع أن المرء كثيراً ما تقابله فكرة أن الجنس والتناسل هما إلى حد ما شىء واحد، وأن القيمة الوحيدة للجنس. ولكن الحقيقة هى – كما يعرف الكثيرون منكم من دروس علم الأحياء بالمدرسة – أن عدداً كبيراً من الحيوانات (ومن النبات أيضاً) تتناسل دون أن يكون هناك ثمة ناحية جنسية على الإطلاق! أى بدون اتصال بين الخلايا الذكرية والخلايا الأنثية.

لعل البعض منكم يعرف ذلك الكائن الضئيل الذى يسمى الأميبا. إنى أرى الابتسام على وجه واحد أو اثنين منكم – فلعلكم قد سئمتم سماع كلمة أميبا – ولكن السبب فى أنه يذكر كثيراً هو أنه على غاية الأهمية فيما يختص بوسيلة تكاثره.

فالأميبا كائن ضئيل هلامى القوام يغير شكله على الدوام، ولعله أبسط الكائنات على الإطلاق. تلك الكتلة الهلامية التى تبلغ قدر حجم ذرة غبار وتوجد فى مياه البرك لن أحاول أن أصفها وصفاً تفصيلياً، ولكن هناك بعض الصور البالغة الجودة للأميبا فى الفيلم الذى سنراه فيما بعد، وسوف ترون عندئذ أنها عندما تتكاثر فإنها تنقسم قسمين فقط، فيضيق الجسم من الوسط وأخيراً ينقسم وينفصل الجزآن تماماً. ها كم طريقة للتناسل دون تدخل للمسألة الجنسية، فليس هناك أمر ذكر وأنثى، أو أب وأم، بل كل ما نستطيع قوله هو أن الأميبا (الوالد) قد تمخض عن اثنين، وقد اختفى الوالد فى العملية!

فإذا ما تخيلتم حدوث هذا فى حالة الإنسان وفى حالتى بالذات، فإن الأمر يكون كما لو حدث انخساف وتوسط على امتداد جسمى، وأن هذا الانخساف أخذ يعمق شيئاً فشيئاً حتى ينقسم جسمى تماماً إلى قسمين. ومن ثم تستمعون إلى محاضرتين فى نفس الوقت! هذا هو نوع التناسل الذى تجدونه فى الأميبا، حيث لا دخل للناحية الجنسية فيه على الإطلاق. وهذا النوع من التناسل يسمى تناسلا غير جنسى أو لا جنسى.

وعندما تنتقلون إلى كائنات أكثر قليلا فى التعقيد من الأميبا تجدون أجهزة جنسية ذكرية وأخرى أنثية تتدخل فى التناسل. فإذا جمعتم بعض الأعشاب من البرك وقمتم بفحصها بعدسة فقد تعثرون على كائن يسمى أخطبوط الماء العذب يبلغ طوله ما بين نصف سنتيمتر وسنتيمترين، وجسمه أنبوبى الشكل ذو فتحة للغذاء محاطة بأذرع، ويبدو لأول وهلة كأخطبوط ضئيل صغير الجسم، رغم أنه فى الواقع لا ينتمى إلى هذا الحيوان على الإطلاق.

هذا الحيوان الذى نسميه أخطبوط الماء العذب يثير الاهتمام، إذ أنه فى بعض الأحيان يتناسل دون تدخل للناحية الجنسية كما هى الحال فى الأميبا، ولكنه يتناسل جنسياً أيضاً، وذلك باشتراك والدين. وهاتين الطريقتين للتناسل تحدثان فى فصول مختلفة من السنة، فإذا كان الوقت ربيعاً وأخذت إناء زجاجياً وجمعت فيه عدداً من هذا الحيوان من بركة قريبة، فسوف تلاحظ ما ينمو على أجسام تلك الكائنات من براعم تزاد فى الحجم شيئاً فشيئاً، ثم تتكون لها فتحة غذائية، وتنمو حولها أذرع ويصبح هناك كائن صغير ثان متصل بجسم الوالد. وذات يوم تلصق الأذرع نفسها فى أحد الأعشاب المائية وتنقبض الخلايا العضلية فينفصل البرعم عن الوالد، وإذا بك أمام كائنين بدلا من واحد.

وإذا تخيلنا مرة أخرى حدوث هذا الأمر فى الإنسان، فلا يكون الانقسام فى هذه المرة من الرأس إلى القدم كما فى المرة السابقة. والآن تخيلوا أحدكم – لا يهمنا إن كان أباً أو أماً ولا يهمنا ذكراً كان أو أنثى – تخيلوه وهو يسير الهوينا فى أحد الشوارع، وإذا ببرعم يتكون فى جانب من جسمه، ثم ينمو هذا البرعم شيئاً فشيئاً ثم يتكون له رأس وذراعان إلخ. ولن تستطيع الذراعان أن تثبتا نفسيهما فى الأعشاب المائية، لأننا لا نعيش فى البرك. وإننى أفترض أنكم ستتخيلون الذراعين وقد أمسكتا بعمود مصباح النور، ثم يحدث جذب من الطرفين، وإذا بطفل صغير يقف أمامكم إلى جوار الشخص الكبير. قد يبدو هذا التشبيه سخيفاً ولكنه فى الواقع دقيق مضبوط، وهو نفس ما يحدث فى حالة أخطبوط الماء العذب.

ولكنكم إذا أرجأتم جمع هذه الكائنات حتى فصل الخريف فسوف ترون شيئاً آخر. فإن هذه الكائنات التى تكون فى أثناء فصل الربيع غير ذات جنس معين – بل تكون محايدة تماماً، بغير جنس على الإطلاق – تصير بمرور الفصول ذكراً أو أنثى. وفى جانب أنثى أخطبوط الماء العذب توجد انتفاخات تنمو وبداخلها الخلايا الأنثية، وهذه الخلايا الأنثية

تسمى البيض، والمكان الذى تتكون فيه يسمى المبيض. وعلى ذلك فلديكم تلك الانتفاخات أو المبايض، بداخلها الخلايا الأنثية أو البيض. وهذا هو كل ما هناك من أجزاء الجهاز الجنسى للأنثى فى هذا الحيوان البسيط.

وفى حالة الذكر يوجد عدد كبير من انتفاخات أصغر الحجم، وبدلا من أن تصنع بيضاً فإنها تصنع خلايا ذكرية، وتسمى الخلايا الذكرية حيوانات منوية. ولعلكم تذكرون أن المكان الذى يصنع فيه البيض يسمى المبيض، أما المكان الذى تصنع فيه الحيوانات المنوية يسمى الخصية.

وسوف تشاهدون فى فيلم هذا الأسبوع صوراً مكبرة للحيوان المنوى وسوف ترون أن يشبه أبا ذنيبة شبهاً كبيراً. وهذه الحيوانات المنوية تترك الانتفاخ الذكرى أو الخصية وتسبح فى الماء فى اتجاه المبيض حيث يندمج أحدها فيها ويخصبها. فعندما تتحد الخلية الذكرية بالخلية الأنثية ويخصب الحيوان المنوى البيض فإنه يجعلها مخصبة فتنمو وتكون فرداً جديداً.

وفى الحالة العادية لا تنمو البيضة إذا لم تُخصب، أى إذا لم يتحد بها حيوان منوى، ولكنها فى بعض الأحيان قد تنمو. فمثل فى حالة نحل العسل، إذا أخصب البيض فإنه ينتج «شغالة» أو ملكات، بينما إذا لم يُخصَبْ فإنه ينتج ذكوراً. مثل هذه الحالة تسمى «التوالد البكرى»، وهى تحدث فى حالة بعض الحشرات الأخرى مثل حشرة المن التى تضايق البستانيين كثيراً.

وقد أجريت بعض التجارب على بعض الحيوانات الأخرى التى ينتج توالدها عن اتحاد الحيوان المنوى بالبيضة، وأمكن فى بعض هذه الحالات جعل البيض الناتج من المبيض ينمو بغير أن يخصب. ولعل بعضكم قد سمع عن التجارب التى أجريت على بيض الضفادع (بيض الضفادع العادى الذى ينتج أبى ذنيبة) إذ أمكن، باستخدام الحرارة أو بطرق كيميائية أو غير ذلك من الطرق، جعل البيضة تنمو دون أن تخصب، وهى تنمو وتصير ضفادع سليمة وعادية تماماً.

وثمة تجربة أروع من هذه تمَّ إجراؤها أخيراً فى أمريكا. فقد تمكن أحد رجال علم الأحياء المعروفين من أن ينتج أرانب من بيض غير ملقح. فقد نجح بمهارة فى أن ينتج أرانب دون حدوث تزاوج مطلقاً، وقد فعل هذا فى جيلين من هذه الأرانب، وهكذا نتج عدد من صغار الأرانب لم يكن لها جد قط! قد يبدو هذا الأمر مؤسفاً جداً ولكنه رائع حقاً، أليس كذلك؟

دعونا نعود مرة ثانية إلى الضفدعة العادية، ولست أرانى فى حاجة إلى أن أقول شيئاً كثيراً عنها فهى حيوان معروف لكل إنسان.

فإذا أنتم فتحتم عيونكم وآذانكم فى الريف صيفاً لتبصروا وتسمعوا، فسوف ترون الضفادع تتزاوج، وسوف تسمعون الذكر يغازل الأنثى. ولعل بعضكم رغم توقد ذكائه وظنه بأنه يعرف كل ما يتعلق بالكائنات الحية يدهش إذ يسمع عما نسميه غزلا بين كائنات منحطة كالضفادع، ولكن عندما يقدم ضفدع ذكر على تقديم دلائل هيامه بأنثاه فسوف تسمع نقيقه. ويبدو أن لهذا النقيق من الأثر على الضفدع الأنثى ما لأغنيات الحب الرقيقة من أثر على الغوانى. فالخطوة الأولى فى الغزل هى مقدمة غنائية عن طريق الصوت، ثم يذهب الاثنان بعد ذلك إلى ماء قليل الغور، وقد يكون ذلك فى أعداد قليلة كما قد يكون بالمئات فى أحيان أخرى، وهناك يمكن رؤية الذكور وهى ممتطية ظهور الإناث، ويبقى كل زوج معا بعض الوقت، ثم يخرج البيض من الأنثى والحيوانات المنوية من الذكر، وتسبح الحيوانات المنوية فى الماء متجهة نحو البيض وتخصبه. ولعلكم قد جربتم وأنتم صغار أن تضعوا بيض الضفادع فى إناء زجاجى على منضدة المطبخ، وربما تذكرون كيف كانت تتولاكم الحيرة لما يطرأ عليها من تغير، فلابد أنكم جميعاً تعرفون كيف يتحول البيض إلى أبى ذنيبة وكيف يتحول أبو ذنيبة إلى ضفادع.

الضفدعة حيوان معقد إلى حد كبير، ويتكون بيضها فى مبيضين كبيرين فى موضع ضيق داخل جسم الأنثى. ويمر من المبيضين أنبوبتان للبيض تتحدان من أسفل، وتكونان أنبوبة مشتركة. ويخرج البيض من الجسم من فتحة بين الرجلين. وفى داخل جسم الذكر توجد خصيتان تتكون فيهما الحيوانات المنوية. وكذلك تتحد أنبوبتا الحيوانات المنوية من أسفل وتخرج الحيوانات المنوية من فتحة بين الرجلين. وهكذا فإن الحيوانات المنوية وكذلك البيض تخرج كلها إلى الماء قريبة من بعضها فمن البين أن هناك فرصة كبيرة لحدوث الإخصاب.

ولكننا إذا انتقلنا إلى الحيوانات التى تعيش على الأرض اليابسة أو تطير فى الجو فإن الأمر يتعقد. فلن يقتصر الأمر فى هذه الحالة على خروج الحيوانات المنوية والبيض إلى الماء لأن هذه الحيوانات لا تعيش فى الماء. ثم إن الأمر يزيد تعقيداً فى حالة الطيور لوجود القشرة الصلبة المحيطة بالبيضة.

والواقع أن البيضة بالمعنى العلمى الصحيح هى الصفار فقط فلا تشمل البياض أو القشرة. ولكن عند مرور البيضة فى أنبوبة البيض يتكون البياض من جدار أنبوبة البيض وعندما تكمل البيضة مرورها تتكون القشرة حولها. فيكف بالله يتقابل الحيوان المنوى مع البيضة – أى الصفار الذى يوجد فى مكان بعيد بداخل البياض والقشرة؟ قد لا تبدو قشرة البيض قوية متينة بالنسبة لك إذا ما أسقطت بعضاً منها على الأرض فتهشمت، ومع ذلك فهى تعمل كحاجز يستحيل على الحيوان المنوى اقتحامه، ومعنى ذلك أن الحيوان المنوى لا يمكن أن يمر خلال قشرة البيضة، ولذلك فلا معدى عن اندماجه بالصفار قبل أن تحيط به القشرة.

لابد للحيوان المنوى من الوصول إلى البيضة بطريقة ما وهى ما تزال فى أنبوبة البيض، وقبل أن تغطيها القشرة. وطريقة حدوث ذلك معروفة لمعظمكم جيداً. فإما أن تكونوا أنتم أو جيرانكم قد ربيتم بعض الدواجن. ولابد أنكم لاحظتم أن الذكور والإناث من الطيور تتزاوج أحياناً، فيقفز الديك فوق ظهر الدجاجة، ويظن عندئذ الأطفال فى كثير من الأحيان أنهما يتشاجران والواقع أنهما يتزاوجان، إذ تتلاقى فتحتا أنبوبة البيض وأنبوبة الحيوانات المنوية فتمر بعض الحيوانات المنوية داخل أنبوبة البيض.

وتوجد الحيوانات المنوية فى سائل لبنى يسمى المنى. وهذا المنى يمر من فتحة الطائر المذكر ويدخل من فتحة الأنثى. وقد ذكرت لكم فيما سبق أن الحيوانات المنوية تستطيع أن تسبح، فهى تسبح عندئذ صاعدة فى أنبوبة البيض. إن جميع فتحات جسمنا – مثل الفم وفتحتى الأنف، إلخ – تحتوى بداخلها على قدر من الرطوبة، وكمية الرطوبة البسيطة فى أنبوبة البيض تكفى الحيوانات المنوية لتسبح فيها. تسبح الحيوانات المنوية إذن إلى أعلى، فإذا أخصبت البيضة (الصفار) فقد تنتج هذه البيضة فرخاً. وبطبيعة الحال إذا لم يخصب البيض فلن تنتج الأفراخ.

دعونا الآن ننظر لحظة إلى مسألة انتقال المنى كمسألة ميكانيكية بحتة. لا ريب فى أن الجنس والتناسل أكثر من مجرد مسألة ميكانيكية، ولكن دعونا ننظر فى ماهية المسألة الميكانيكية. فلدينا أنبوبة – وهى أنبوبة الحيوانات المنوية عند الذكر – يخرج منها سائل هو المنى الذى ينبغى أن ينتقل إلى داخل أنبوبة أخرى هى أنبوبة البيض لدى الأنثى. والطريقة التى يتم بها هذا الأمر فى معظم الطيور هى أن توضع الفتحتان بطريقة ما متجاورتين. والمشكلة هنا شبيهة شبهاً كبيراً بمشكلة رجال المطافئ الذين يحاولون إمرار سائل – هو الماء – من أنبوبة لأخرى. ولكن ماذا ترون فى رجل المطافئ الذى وضع الأنبوبتين على الأرض بحيث كانت الفتحتان متقاربتين؟ قد يمر بعض الماء ولكن أغلب الماء لابد أن يذهب هباء. فلو كانت تلك هى طريقة فرقة المطافئ إذا لاحترقت نصف مدن العالم منذ أمد بعيد! ومن الواضح أن الطريقة المثلى لإمرار السائل هى بالضبط الطريقة التى تستخدمها فرق المطافئ، وهى أن يكون طرف الأنبوبة التى يأتى السائل منها أضيق من طرف الأنبوبة التى يدخل فيها السائل، فيوضع طرف الأنبوبة الأضيق بداخل الأنبوبة الأكثر اتساعاً – هذه هى الطريقة المتبعة. وإن أرقى الحيوانات بما فى ذلك الثدييات وهى التى ننتمى إليها نحن البشر تتبع هذه الطريقة فى نقل المنى. إذ أن طرف أنبوبة الحيوانات المنوية لدى الذكر يوضع فى فتحة أنبوبة البيض عند الأنثى.

وللثدييات نفس النظام العام الذى رأينه فى حالة الضفادع والطيور، ولكن هناك تعقيدات إضافية بطبيعة الحال. ففى الثدييات وهو القسم الذى ينتمى إليه الإنسان، والذى يرضع

صغاره لبناً، تنمو الصغار فى معظم الأحوال تقريباً داخل أجسام أمهاتها. ومعظمكم تعلمون أن الطفل فى حالة الإنسان يبقى بداخل جسم أمه تسعة أشهر ليبلغ درجة كافية من النمو تسمح له بالحياة فى عالمنا هذا بما فيه من صعاب. وربما يعلم بعضكم ممن يربون بعض الحيوانات المنزلية أن الأرانب تحتاج لثلاثين يوماً والقطط لثلاثة وستين يوماً. وإنى لا أخال كثيرين منكم يربون الفيلة فى بيوتهم، ولكن لو فعلتم لتبينتم أن الزمن الذى يستغرقه نمو الفيل الصغير داخل جسم أمه أقل قليلاً من عامين كاملين.

وعلى هذا فالأم فى الحيوانات الثديية فوق أنها تنتج البيض فإن لها وظيفة على غاية الأهمية هى تغذية وتنمية الطفل (الجنين) فى جزء خاص من أنبوبة البيض يسمى الرحم له جدر عضلية سميكة، كما أن الفتحة التى يوضع فيها عضو الذكر لها اسم خاص هو المهبل.

وفى حالة الذكر تترك الحيوانات المنوية الخصيتين وتمر فى المنى خلال العضو الذكرى الخارجى وهو القضيب. ومن أساليب الاقتصاد فى الطبيعة أن جعلت القضيب الطريق الذى يمر منه البول – وهو الماء التالف – إلى خارج الجسم، وذلك بالإضافة إلى كونه الطريق الذى يمر منه المنى. وهناك نظام خاص من شأنه أن يسمح بمرور كل من المنى والبول إلى الخارج، ولكن بحيث لا يكون ذلك فى نفس الوقت.

إن الحيوانات المنوية ضئيلة الحجم للغاية، وهى أضأل جداً من البيض، وهى إلى هذا رهيفة جداً ولذا يمكن بسهولة أن يلحقها الدمار. أما فى حالة الضفادع وغيرها من الحيوانات ذوات الدم البارد فيمكن أن تتكون الحيوانات داخل الجسم، ولكن فى حالة الحيوانات الثديية، وهى من ذوات الدم الحار، فإن الحيوانات المنوية قد تتلف بتأثير الحرارة. ولهذا فإنكم تلاحظون أن الخصيات فى حالة الثدييات غير موجودة بداخل الجسم – كما هى الحال فى الضفادع – ولكنها تتدلى فى مرحلة مبكرة من الحياة تكون قبل الولادة عادة، حيث يحتويها كيس من اللحم يوجد بين الرجلين ويسمى الصفن؛ وعلى ذلك فإن خصيتى الذكر توجدان خارج صُلب الجسم بخلاف مبيضى الأنثى.

لقد مهدت حتى الآن بأساس عام للحالة فى الإنسان، وفى المحاضرة الثانية سأبدأ من حيث انتهيت اليوم فنعالج، بشىء من التفصيل، التركيب الفعلى للأجهزة التناسلية والعملية الجنسية فى الإنسان، مع التعرض للنقط التى تهم الشباب وتلك التى تهم الشابات كلا على حدة. وفى الأسبوع التالى سوف نجتمع معاً للمرة الأخيرة حيث نتابع الموضوع.

والآن أظن أنه ينبغى على أن أختم الموضوع عند هذا الحد. فهيا بنا إلى مشاهدة الفيلم، وآمل أن يعقب ذلك بعض الأسئلة والمناقشة.

المحاضرة الثانية

« أ »

هذه هى المحاضرة الثانية من السلسلة وقد ألقيت على جمهور من الشبان فقط، واستخدم للتوضيح فيلم سينمائى بعنوان «التناسل عند الإنسان». وكانت المحاضرة المقابلة لهذه المحاضرة، والتى ألقيت على جمهور من الشابات، ومشابهة لها إلى حد كبير إلا فيما يتعلق بتلك النقط التى سيرد ذكرها عند الإشارة إلى تلك المحاضرة أى المحاضرة الثانية (ب).

يذكر من حضر اجتماعنا فى الأسبوع الماضى، أننى لم أبدأ حديثى عن الجنس والتناسل فى الإنسان إلا قرب نهاية الاجتماع، فقد استغرقت أغلب الوقت فى وصف حيوانات أخرى بعضها بسيط وضئيل جداً لا يمكن رؤيته إلا بالمجهر. وقد بينت أن التناسل الجنسى غير شامل لجمع الحيوانات فثمة بعض أنواع من الحيوان ليست لها إناث وذكور تتعاون فى إنتاج النسل. وقد تتبعت الأمر متدرجاً فى مراتب المملكة الحيوانية حتى وصلت إلى القسم الذى ننتمى إليه وهو الثدييات، وهو القسم الذى يطعم صغاره لبناً. وأظن أننى تعرضت عند نهاية الحديث لتركيب الأجهزة التناسلية فى الثدييات، والذى قلته عندئذ ينطبق – فيما خلا بعض الاختلافات الطفيفة – على جميع الثدييات الأخرى مثل الأسود والنمور والقطط والكلاب والخراف والإنسان والأرانب والفيلة والحيتان،.. إلخ. لقد قلت إن العضوين الجنسيين الأساسيين عند الأنثى يوجدان فى داخل الجسم، هذان العضوان هما المبيضان اللذان يضعان الخلايا التناسلية الأنثية (أى البيض). ومن المبيضين تخرج أنبوبتا البيض اللتان تتصلان الواحدة منهما بالأخرى وتفتحان للخارج فى فتحة توجد بين الرجلين. هذا هو الوصف العام الذى أوردته للأجهزة الجنسية فى الأنثى.

ولكن ثمة نقطة أو اثنتين تزيدان المسألة تعقيداً. فقد ذكرت لكم أن فتحة أنبوبة الأنثى التى توضع فيها الخلايا التناسلية الذكرية لها اسم خاص هو المهبل. وقلت لكم أيضاً إن جزءاً من أنبوبة البيض له تركيب خاص ذلك الجزء يسمى «الرحم»، وهو يشبه ثمرة الكمثرى فى شكله، وطوله حوالى سبعة سنتيمترات ونصف (٣ بوصات) وعرضة حوالى خمسة سنتيمترات، ويفتح طرفه الضيق فى المهبل وله جدر سميكة عضلية مبطنة بغشاء رقيق حيث تستطيع أن تعيش البيضة المخصبة التى تنمو وتصير جنيناً طوال المدة السابقة للوضع (وتبلغ هذه المدة فى حالة الإنسان تسعة أشهر تقريباً). ولكن يجب أن تفهموا أنه ينبغى علينا ألا ننظر إلى مدة الشهور التسعة كأمر ثابت جامد. فنحن فيما بيننا نختلف اختلافات طفيفة، وقد يصبح الأطفال صالحين للميلاد فى أقل من تلك المدة كما قد يحتاجون لمدة أطول، ولكن المتوسط الشائع هو تلك المدة.

وعندما يكون الجنين النامى موجوداً فى جسم أمه فإنه يحصل على غذائه من دمها. ويتخيل الناس أحياناً أن دم الأم ينتقل فعلا إلى داخل جسم الطفل ولكن الحقيقة تختلف عن هذا. فلا يدخل جسم الجنين قطرة واحدة من دم الأم. فالطفل الصغير يصنع دمه بنفسه ولا يأخذ من دم أمه شيئاً. وواقع الأمر أن الأوعية الدموية للأم والأوعية الدموية للطفل (الجنين) تختلط بعضها ببعض اختلاطاً كبيراً وتلتصق بجدار الرحم ومن ثم ينفذ الغذاء الذى فى داخل الأوعية الدموية للأم خارجاً من جدر الأوعية التى تحتويه ثم ينفذ داخلا من جدر الأوعية الدموية للطفل.

وكذلك يحدث نفس الأمر فيما يتعلق بالأكسيجين. فالأم لا تتغذى فقط من أجل طفلها أثناء نموه، وهو جنين بين أحشائها، بل إنها تتنفس أيضاً من أجله، فالطفل موجود فى مكان بعيد بداخل جسمها وهو لا يستطيع أن يتنفس، إلا أنه مع ذلك فى حاجة إلى الأكسيجين. لذلك تتنفس الأم ويقوم دمها بحمل الأكسيجين الذى ينفذ إلى دم الجنين النامى.

وكما ان دم الأم يحمل الغذاء والأكسجين إلى دم الجنين فإنه يأخذ منه أشياء. إن أجسامنا لا تفرز مواد تالفة (إخراجية) بعد ولادتنا فحسب، وإنما يحدث هذا أيضاً قبل أن نولد، ولكن الطفل قبل ولادته لا يستطيع أن يتخلص منها بالطريقة العادية، وإنما يتخلص منها عن طريق دم أمه. فبينما يمر الغذاء والأكسيجين من دم الأم إلى دم الطفل إذا بالمواد الإخراجية التى تصدر عن الطفل تمر فى الاتجاه الآخر، أى من دم الطفل إلى دم الأم – وهكذا نكون بصدد نوع من حركة المرور ذات الاتجاهين – خلال الحبل السرى الذى يصل الجنين بجدار الرحم. وعندما تكتمل أشهر الحمل يُحدث الرحم – الذى يكون قد تضخم تضخماً كبيراً لوجود الجنين بداخله – سلسلة من الانقباضات، وهذه الانقباضات تدفع الطفل خارج فتحة الرحم إلى المهبل ثم تقذف به إلى العالم الخارجى.

ويكون الطفل عقب ولادته متصلا بأمه عن طريق الحبل السرى، فلا بد من ربط الحبل فى موضعين بإحكام لمنع نزف الدم، ثم يقطع الحبل بين هذين الموضعين، وبعد مدة يبرأ الجرح ولكنه يترك أثراً خاصاً دائماً، وهذا الأثر كما تعلمون يسمى السرة.

إن بيضة الإنسان صغيرة جداً – إذ يبلغ قطرها حوالى (ربع مليمتر)، أما الحيوان المنوى (الخلية الجنسية الذكرية) فهى أصغر من هذا كثيراً، بحيث أننا نحتاج لعدد هائل منها لتتساوى مع حجم هذه البيضة الضئيلة. وقد تستطيعون رؤية البيضة بغير الاستعانة بمنظار مكبر إذا كان نظركم سليما، ولكن الحيوان المنوى لا يمكن أن يراه إنسان دون الاستعانة بالمجهر.

وسأحاول الآن أن أعطيكم فكرة عن مدى ضآلة الحيوان المنوى. فأنتم تعلمون أن الحيوانات المنوية تصنع داخل الخصية وتمر إلى خارج جسم الرجل فى سائل لبنى يسمى المنى. ويمر من هذه الحيوانات فى المتوسط خلال عملية الاتصال الجنسى الواحدة ما يقرب من مائتى مليون من هذه الحيوانات المنوية. ولعل هذا التقدير يبين لكم مبلغ ضآلة هذه الحيوانات فى الحجم. وقد يخصب أحدها البيضة، أما الباقى منها فإنه يتلف ويصبح عديم النفع، فلا غرابة إذن إذا تحدث الناس عن إسراف الحياة!

إننا جميعاً، أعنى كل فرد منا يبدأ من بيضة من هذا البيض الضئيل الحجم وحيوان منوى أضأل حجماً. ولكن لا ينقضى زمن طويل حتى تنمو سريعاً. ففى مدى ثلاثة أشهر أو نحوها تبلغ البيضة حجماً كبيراً إذ طولها يصل حوالى سبعة أو ثمانية سنتيمترات وينمو لها أذرع وأرجل وما إلى ذلك، وحتى الأظافر تكون قد بدأت فى الظهور. وبعد ذلك أى فى الأشهر الستة الباقية نزداد فى النمو شيئاً فشيئاً نتيجة للغذاء الذى نستخلصه من دم الأم، حتى نصبح على استعداد للميلاد.

يتضح مما ذكرته لكم مقدار الدَّين الذى فى عنق كل منا لأمه، فقد قامت بتغذيتنا سواء قبل الميلاد أو بعده. وفى سبيلنا تحملت التعب والألم بل وتعرضت للخطر أيضاً. فالمرأة هى التى تعانى كل المصاعب وتتعرض لكل المخاطر فيما يتعلق بالجنس، وعلينا نحن الرجال أن ندرك هذا وأن نعمل غاية ما نستطيع كى نساعد النساء، وأن نكون على الخصوص مقدرين لحالهن عطوفين عليهن.

لقد كان اهتمامى حتى الآن مركزاً تماماً فى الأجهزة الجنسية التامة النمو للشخص البالغ، ولكنى أعتقد أن قصة نمو هذه الأجهزة قد تكون أكثر إمتاعاً. فى حالة الطفل تكون الأجهزة الجنسية موجودة عنده من حيث الشكل ولكنها لا تكون قد بلغت تمام نشاطها. وفى مرحلة المراهقة – وهى الفترة المحصورة بين سن الثالثة عشر والسابعة عشر فى حالة الأولاد وبين الحادية عشرة والخامسة عشرة فى حالة البنات، وهذا التحديد على وجه التقريب فقط – يتم نضج الأجهزة الجنسية ونموها السليم فتتحول من أطفال إلى أفراد بالغين. ومن الممتع أن تعرفوا الأسباب التى تؤدى إلى حدوث هذا التغيير.

ولكى تفهموا فى يسر ما يحدث إبان مرحلة المراهقة لابد لى من الإشارة إلى شىء يبدو لأول وهلة وكأنه منقطع الصلة بالجنس تماماً! تلك هى الغدد المختلفة التى توجد فى جسمنا. لعلكم جميعًا تعرفون الغدد العرّقية، والعدد الدمعية والغدد اللعابية وما إليها. هذه تكوّن نوعاً من أنواع الغدد – وهى الغدد ذات الأنابيب أو القنوات التى تمر فيها المواد الكيميائية التى تصنعها تلك الغدد.

وثمة نوع آخر من الغدد تحتويه أجسامنا، وهى عدد لا تتصل بها أنابيب أو قنوات، ولذلك فهى تسمى العدد اللاقنوية أو الغدد الصمّ «الصماء». وإنى أريد الآن أن أتحدث عن هذه الغدد الصماء، فإن لها أهمية خاصة إذ أن المواد الكيميائية التى تصنعها شديدة التأثير جداً، والاسم الذى يطلق على تلك المواد الكيميائية هو الهرمونات. وهذه الهرمونات تذوب فى الدم ويحملها تياره إلى كل خلية من خلايا الجسم.

من هذه الغدد البنكرياس وهو يفرز مادة تسمى الأنسولين، ولعل أغلبكم يعرف أن الناس الذين تنقص عندهم كمية الأنسولين يصابون بمرض البول السكرى، ولابد من إعطائهم بعض الحقن. وثمة غدة أخرى من هذا النوع تسمى الغدة الدرقية وهى فى الرقبة، وقد تنتفخ كثيراً عند بعض الناس وتكون نوعاً من المرض يعرف باسم الغوطر، كما أن عدم نشاط هذه الغدة نشاطاً كافياً يؤدى بالفرد إلى البلادة والخمول، وإذا تصادف أن ولد طفل بدون هذه الغدد – كما يحدث أحياناً – فإنه لا ينمو نمواً صحيحاً سواء من الناحية الجثمانية أو العقلية، حتى لقد يبلغ به قصور النمو العقلى إلى درجة البله أو العته. وتعمل الغدة الدرقية عند بعض الناس بنشاط فائق، لذلك فإن هؤلاء الناس يكونون فى غاية السرعة فى أعمالهم وسريعى الاستثارة وتكون عيونهم جاحظة للخارج.

قد يتبادر إلى أذهانكم أن لا علاقة بين هذه الأمور وبين الجنس، ولكنى سأوضح الآن السبب الذى حدا بى إلى أن أتحدث عن هذه الغدد، إن الخصيات عند الذكور والمبايض عند الإناث هى غدد صماء. ولقد تحدثت فى خلال هاتين المحاضرتين عن المبايض والخصيات على أنها أجهزة جنسية، وهى فعلا أجهزة جنسية، فهى تنتج الخلايا الجنسية. ولكن الذى أظهره البحث العلمى منذ أمد قصير نسبياً هو وظيفتها الأخرى البالغة الأهمية، إلا وهى صنع تلك المواد الكيميائية التى تسمى الهرمونات والتى تذوب فى الدم وتنتقل فى جميع أنحاء الجسم. وسوف يوضح لنا الفيلم ما أقصده، أى أن الرسوم ستبين لنا أى الأجزاء تنتج الخلايا التناسلية وأيها يصنع الهرمونات.

إن الخصيات والمبايض لا تكون فى المراحل المبكرة من حياتنا على درجة كبيرة من النشاط، ولكنها عند الثانية عشرة فى حالة البنات والرابعة عشرة فى حالة الأولاد – تقريباً – تبدأ فى صنع كميات كبيرة من هذه المواد الكيميائية التى تمر مع الهرمونات الأخرى التى تفرزها غيرها من الغدد فى جميع أنحاء الجسم، فتؤثر فينا وتجعلنا نبدأ فى التحول من أولاد إلى رجال ومن بنات إلى نساء.

ويتفاوت تأثير هذه الهرمونات بالنسبة لأجزاء الجسم المختلفة. فقد يكون تأثيراً غير ملحوظ فى جزء منه ولكنه يكون واضحاً فى غيره من الأجزاء. فمثلاً يتأثر الجلد فى حالة الأولاد تأثراً ملحوظاً، فبعض مناطق الجسم – كالوجه، وحول الأعضاء الجنسية وتحت الأذرع وعلى

الصدر وما إلى ذلك – تتأثر بتلك الهرمونات فما إن تصل إلى الجلد حتى تنشطه لإنبات الشعر. ونتيجة لهذا ينبت الشعر فى ذقن الفتى وإذا به يذهب ذات يوم إلى الحمام وفى يده موسى والده يزيل شعر ذقنه للمرة الأولى. وهو إذ يفعل ذلك تملئ نفسه غبطة إذ قد أقدم على عمل عزيز عليه، غير أنه يغير رأيه بمرور السنين. ومن الطريف أن نلاحظ ما نشعر به من اعتزاز بالنفس عندما نزيل شعر الذقن لأول مرة. إذ نحس عندئذ بأننا قد صرنا رجالا. نعم قد يسخر بعض الآباء من هذا الشعور، غير أن الواقع أنه علامة قاطعة الدلالة على أن الفتيان قد كادوا يصبحون رجالا، إذ أن ظهور اللحيه من أوضح العلامات على هذا.

وكذلك تؤثر الهرمونات فى أجزاء أخرى من الجسم. ولنأخذ على سبيل المثال عضلات الزور (الحبال الصوتية) التى تحدث الأصوات التى نتفاهم بها. فعندما تصل تلك الهرمونات إلى تلك العضلات مع تيار الدم فإنها تجعل حبال الصوت أكثر ارتخاء وأثقل وزناً. وأنتم تعرفون ماذا تكون النتيجة إذا استبدلتم بأسلاك الكمان الدقيقة المشدودة أسلاكاً غليظة مرتخية. إنكم سوف تحصلون على صوت عميق غليظ بدلا من صوت رفيع ذى رنين عال، وهذا بالذات ما يحدث بالنسبة للحبال الصوتية، فعندما يحدث لكم مثل هذا التغيير يتقطع الصوت. غير أن هذا التحول لا يحدث فجأة، فليس معنى هذا أنك تذهب إلى الفراش ذات ليلة وصوتك جميل واضح ذو رنين عال فإذا بك تستيقظ فى صباح اليوم التالى وصوتك لطيف عميق وغليظ، وإنما تمر بك فترة لا يمكنك أن تتحكم خلالها فى طبيعة صوتك ونبراته. فقد تبدأ الكلام بصوت عميق غليظ فإذا به يتحول فى منتصف الجملة إلى صوت رفيع عالى النغم، ثم ينخفض ثانية وهو غليظ بعض الشىء، وهذا أمر قد يسبب الحيرة والحرج، ولكن ينبغى علينا أن نتحمله.

لقد كنت أتكلم حتى الآن عن التغيرات التى تحدث عند الأولاد، والآن ماذا عسى أن يكون من أمر البنات؟. أما عن جلدهن فإنه لا ينبت عليه عادة شعر بالقدر الذى يحدث عند الأولاد، وهو ينمو حول الأعضاء الجنسية وعند الإبطين، ولكنه لا ينمو عادة فى الوجه أو الصدر. فالتغير عند البنات لا يكون فى الجلد نفسه بقدر ما يكون فى اللحم الموجود تحت الجلد، حيث يبدأ الجسم – وخاصة تحت الأثداء وحول الأرداف – فى تخزين قدر كبير من المادة الدهنية، ويترتب على هذا التحول أن تبدو البنت تدريجاً فى صورة الفتاة. وبعد أن كانت فى سن الحادية عشرة أسطوانية القوام تقريباً من رأسها إلى أخمص قدمها إذا بجسمها يتميز منذ الخامسة عشرة بانحناءات ألطف شكلا.

ولنتساءل الآن: لماذا نعتبر هذه الانحناءات ألطف شكلاً؟ ولو كان معنا الآن مجموعة من الأولاد فى سن العاشرة لما فكروا فى شىء من ذلك ولما اكترثوا بهذا التغير، وإنما يرجع اهتمامنا بالجنس الآخر فى مرحلة المراهقة إلى تأثرنا بتلك المواد الكيميائية التى أطلق عليها

اسم الهرمونات. فليست أجسامنا فقط هى التى تتغير إبان المراهقة وإنما نظرتنا العامة تجاه الحياة يعثر بها التغير أيضاً. وهذا يرجع للتربية إلى حد ما، كما يرجع إلى ما نشعر به من استقلال عند ترك المدرسة الثانوية ودخول الجامعة أو الحياة العملية، كما يرجع إلى حد ما أيضاً لتلك الهرمونات. فالبنت فى سن الحادية عشرة لا تنظر إلى الأولاد إلا على أنهم مشاغبون مزعجون. فى حين أن الولد فى سن الحادية عشرة لا يستطيع أن يتصور السبب فى وجود البنات على وجه البسيطة. ومع ذلك فبعد بضع سنوات من تلك السن نجد أن كلا منهما قد غير رأيه، وبدأ يظن أن هناك شيئاً له قيمته يمكن ذكره فى صالح الجنس الآخر. وهذا التغير فى الاتجاه العقلى يرجع إلى حد كبير لتلك الهرمونات. ولكنى أحب أن أحذركم مما أقول. فلا تسمحوا لى بأن أغلق عليكم مجالات خيالكم وأحلامكم، فلست أريدكم أن تظنوا أن الحب مجرد مسألة كيميائية، فهو ليس مجرد مسألة من مسائل أنابيب الاختبار. ولكن ينبغى أن نفهم هذه الحقيقة وهى أن ما يظهر من اهتمام الفتيان بالفتيات واهتمام هؤلاء بأولئك مرجعه – جزئياً على أية حال – إلى تلك المواد الكيميائية، وهذا نمو طبيعى وعادى يحدث فى مرحلة المراهقة.

والآن دعونا نستعرض نوعاً أو نوعين من التغيرات التى تحدث فى هذه المرحلة. ففى حالة الإنسان قد تنطلق بيضة – من المبيض الأيمن أو الأيسر – فى كل ٢٨ يوماً تقريباً، ويعنى هذا احتمال إخصاب بيضة واحدة فى كل ثمانية وعشرين يوماً. فإذا حدث أن أخصبت البيضة، فإنها تكون فى حاجة إلى غذاء، ولا تستطيع أن تحصل عليه إلا عن طريق مصدر الدم فى جدار الرحم. وفى حالة الإنسان يكون هذا المصدر على أهبة الاستعداد كل ٢٨ يوماً تقريباً، ولكن إذا لم تخصب البيضة فإن مصدر الدم فى جدار الرحم يصبح عديم الفائدة. ومن ثم تتمزق الطبقة التى تعلوه ويتدفق الدم والأنسجة الأخرى للخارج ويستمر هذا بضعة أيام.

إن خروج الدم من جسم الأنثى يحدث دورياً كل ٢٨ يوماً ابتداء من الثانية عشرة تقريباً ويستمر فيما بعد ذلك، وهذا ما يسمى «بالعادة الشهرية» ولكن الاسم العلمى له هو الحيض، وقد شرحته بشىء من التفصيل لأن أفكار الناس عنه مبهمة جداً، فكثيراً ما يظنون – رجالا أو نساءً – أن هناك شيئاً غريباً فى أمره، أما وقد علمنا الطريقة التى يحدث بها فإننا نتبين أنه طبيعى للغاية.

لنعد الآن مرة أخرى لنرى ماذا يحدث فى حالة الأولاد. لقد ذكرت أن البنات عندما يشرفن على البلوغ يبدأن فى تكوين البيض ويحدث عند الأولاد كذلك شىء شبيه بهذا. ففى وقت ما – عندما يبلغون الثالثة أو الرابعة عشرة تقريباً – تبدأ الخصية فى إنتاج الحيوانات المنوية بالملايين. فماذا يحدث إذ ذاك؟ إن ما يحدث هو بالضبط ما تتوقعون حدوثه، إذ يفيض المنى من وقت إلى آخر ويخرج غالباً فى أثناء الليل وهو ما يسمى «بالاحتلام» أو «القذف

المنوى»، وكثيراً ما يحدث ذلك مصحوباً بأحلام حية نشيطة ولذا يطلق عليه أحياناً إسم «الأحلام المبللة». قد تكون هذه العبارة غير مهذبة ولكنى أود أن أتأكد من أنكم تدركون ما أعنى.

ولقد ذكرت أمر القذف المنوى لأوضح لكم أنه حدث لا يكاد يستأهل التحدث عنه، لكن الواقع أن الفتيان كثيراً ما يقلقون عند حدوث ذلك ويبدو أنهم يفكرون فى أن هناك عيباً أو خللا ما فيهم. غير أن هذا لا يدل على عيب أو خلل ما بل بالعكس، فهو سمة لأمر صحيح سليم. إنه علامة على أن الأعضاء الجنسية نامية نمواً سليماً، وينبغى أن يحدث فى حالة كل فتى صحيح الجسم! لهذا فإن كان لأحدكم صديق يستشعر القلق من جراء هذه المسألة فإنى أرجو أن يتمكن من تبصرته بحقيقة الموضوع فيبين له أنه ما من شىء فى هذا الأمر يستدعى القلق بالمرة.

هناك مسألة أخرى أود أن أذكرها. فكثيراً ما يكشف المراهقون ولو بطريق الصدفة أن مسك الأعضاء التناسلية يجعلهم يحسون إحساساً لذيذاً، وفى حالة الأولاد قد يؤدى لمس الأعضاء التناسلية إلى خروج المنى، وقد يتكرر هذا الأمر حتى يصبح عادة تسمى بأسماء مختلفة، لكن الاسم الصحيح لها هو «الاستمناء».

إن ما كتب من الغث والهراء عن الاستمناء يفوق فى كثرته ما كتب عن أى موضوع آخر على ما أعلم، ومازالت القصص المخيفة غير الصحيحة تذاع وتنشر حول هذا الموضوع، ويقال للشبان إن هذه العادة سوف تؤدى بهم إلى الإصابة بالأمراض التناسلية، أو إنها سوف تسبب لهم الجنون أو إنهم بسببها على شفا السل وما هو أسوأ منه.

هذه القصص كلها لا تخرج عن أن تكون غثاء تافهاً وهراء محضاً. نعم يعمد بعض الناس إلى إذاعة هذه التحذيرات الرهيبة حتى يرهبوا الشبان ويرغموهم على التمسك بما يسمونه العفة، ولكننا قد اجتمعنا فى هذه المحاضرات كى نصل إلى الحقيقة، والحقيقة هى أن الاستمناء فى «الحدود المعقولة» لا ضرر منه على الجسم، أقول فى الحدود المعقولة لأن أى شىء يزيد عن الحد ينقلب إلى الضد.

والواقع أن غالبية الشبان يمارسون عادة الاستمناء هذه فى فترة ما، ولكن معظمنا يتخلص منها عندما تتقدم به السن، ولا نستطيع أن نذكر الأرقام الدقيقة عن هذا الأمر، غير أن باحثاً عبر عن رأيه فى هذا الصدد بقوله: «إن خمسة وتسعين فى المائة من الرجال الذين سئلوا عن ممارسة تلك العادة أقروا بممارستها فى وقت ما. أما الخمسة فى المائة الباقية فلم يقروا بذلك». وأنا شخصياً لا أظن أن الحقيقة الواقعة تختلف عن هذا اختلافاً يذكر.

والآن أرجوكم ألا تسيئوا فهمى عندما أقول لكم إن الاستمناء عادة لا تحدث بالجسم ضرراً ما، فلا تستخلصوا من هذا أنى أقول لكم إن الاستمناء شيء حسن، فلست أعنى هذا. فمن رأيى أنه عادة ينبغى على المرء أن يتجنبها، إلا أن اعتراضى لا ينصب على الناحية الجثمانية وإنما ينصب على الناحية الوجدانية.

فمعظم الناس يتطلعون إلى المستقبل آملين فى أن ينعموا فى وقت ما بزواج سعيد. قد يتخذ بعضكم هذا الرأى وسيلة للتفكهة لأن كثيراً من الفتيان يعتقدون اعتقاداً جازماً بأنهم لن يتزوجوا وإن كانوا يغيرون رأيهم فيما بعد، وسواء أكنتم ترون هذا الرأى أو لا ترونه، فمعظمكم سيقابل فتاة حسناء يوماً ما، وسوف يشرعان معاً فى تأثيث بيت الزوجية.

إن من أهم الشروط التى تحقق السعادة الزوجية أن يرتبط الزوجان معاً برباط الحب. وجوهر الحب الذى تكنه لشخص ما هو أن تكون عواطفك وأفكارك ومشاعرك موجهة نحوه، لا أن تكون متمركزة فى داخلك ومقصورة على نفسك، فتفكر فى سعادته هو ولا تمتلكك الأثرة فتنطوى على نفسك مفكراً فى مشاعرك الخاصة، وهذه هى مشكلة الاستمناء. فإذا أنت أمضيت عدداً من السنين تعب من ذلك الاستمتاع الأنانى، فإنك توجد لنفسك مشكلة تواجهها فى يوم من الأيام، وهى فى بساطة أنك وقد اعتدت على ذلك اللون من الاستمتاع الذى تجعل فيه نفسك محور اهتمامك وتصبح إحساساتك الجنسية الخاصة هى كل ما يعنيك طوال الوقت، فلن تستطيع بين يوم وليلة عند زفافك أن تقلب عواطفك التى كان قد طال تركزها حول نفسك، تقلبها كما تقلب المعطف أو القفاز، ثم توجهها نحو شريكة حياتك. فنحن البشر لا نتحكم فى عواطفنا بهذه السهولة على الإطلاق، ولذلك فلن تستطيع فى بساطة أن تحول تلك الأثرة الوجدانية إذا كان قد أزمن استحكامها بنفسك إلى إيثار لزوجتك. وهذه فى اعتقادى هى نقطة الضعف التى تَصِم الاستمناء. فهو لا يسبب أى ضرر بالغ للجسم، ولكنه قد يجعل نجاح الزواج وسعادته فى المستقبل أكثر صعوبة.

فما عسانا أن نفعل للتخلص من هذه العادة؟ إنه بالإضافة إلى ما ينبغى من تهذيب للنفس، فهناك أيضاً بعض الأشياء البسيطة التى تفيد فى هذا الصدد. فكل شيء يجذب انتباهنا ناحية الأعضاء التناسلية يسهل أمر القيام بهذه العملية، لذلك قد يكون من المفيد تفريغ المثانة والأمعاء بانتظام قبل الذهاب إلى الفراش ليلا، وبذا يمكن تجنب ما يسببه الضغط الذى يحدث عند امتلائها مما يؤدى إلى الاستثارة التى تجعل الإقدام على مزاولة الاستمناء أكثر احتمالا. ينبغى ألا يكون السروال بالغ الضيق أو أن تكون الملابس الداخلية أو ملابس النوم مما يسبب الدفء الشديد. كما يحسن ألا تطيل النوم فى الصباح إذ أن هذه الفترة بنوع خاص من أكثر الأوقات إغراء على ممارسة هذه العادة.

كل هذه الوسائل مادية (جثمانية) بحتة، ولكن هناك نواح عقلية أيضاً. ولنأخذ مسألة الصور العارية مثلا. وإنى أسارع فأخبركم بأننى لست ضيق الأفق، بل إنى أعترف لكم صراحة بأن هناك صوراً ورسوماً وتماثيل عارية تجتذب انتباهى وتسترعى تأملى وإعجابى. فليس فيها عيب بل إن الإعجاب والغبطة لجمال الجسم الإنسانى هو شىء رائع حقاً. ولكنها قد تستثير الأحاسيس الجنسية. ومن الخير فى هذه الحالة بالنسبة للشخص الذى يعانى من عادة الاستمناء أن يبتعد عن هذه المثيرات حتى ولو لم تكن فى حد ذاتها معيبة، حتى لا يفقد قدرته على ضبط نفسه.

ولكن المرء لن يفيد شيئاً بالقلق، فالاتجاه العقلى الذى ينبغى اتخاذه ليس النظر إلى هذه العادة على أنها أمر شرير أو ضار، بل على أنها شىء يتضمن تمركز اهتمام المرء حول نفسه وعلى أنها شىء صبيانى، فينبغى تركها. لست أظن مثلا أن هنا شيئاً بالغ الشر فى لعق الإصبع، ومع ذلك فلست أظنكم تستسيغون رؤية فتى فى سن الخامسة عشرة ماراً فى الشارع وهو يلعق أصبعه. ليس ذلك شراً ولا هو بالغ الخطر ولكنه صبيانى. ومثل ذلك يقال عن عادة الاستمناء. فالشخص الذى يحترم نفسه بل يشعر ببعض الاعتداد بنفسه لا يرغب فى ممارستها.

فالأمر الذى ينبغى أن تعمله إذن هو أن تطرح عن نفسك هذه العادة. وأن تشعر بأنها شىء صبيانى وأنانى، وأنها عادة سوف تتخلص منها – ولكن لا تجعل الهموم تأخذ منك كل مأخذ بسببها كما يفعل الكثيرون أحياناً.

لقد سمعنا الليلة كثيراً عن الأعضاء الجنسية وكيف تعمل وبخاصة كيف تنمو إبان المراهقة. أما فى الأسبوع القادم فلن أتحدث عن الفرد بقدر حديثى عن المجتمع كله، وعن الأسلوب الذى ينبغى أن ينهجه الفرد فى سلوكه، وعن التعقيدات التى تنشأ فى العلاقات الجنسية نتيجة وجود الجنسين فى المجتمع. ولكنى أرى الاكتفاء بهذا القدر الليلة، لأنكم ستشاهدون الفيلم، كما أنى تواق جداً إلى أن أترك وقتاً طويلاً للأسئلة والمناقشة، ولذلك فسأختم حديثى عند هذا الحد.

المحاضرة الثانية

« ب »

سوف نقتصر فى هذا المقام على ذكر النواحى التى روعى فى علاجها ما يخص الفتيات دون الفتيان والتى تكوّن صلب الاختلاف بين صورتى المحاضرة الثانية.

١ – بالرغم من أن الحقائق التى تعطى للجنسين ينبغى أن تكون واحدة إلا أن محاور الاهتمام قد تختلف نوعاً ما، مثل تأثير الهرمونات فى المبايض فإنه يشرح بمزيد من الإيضاح والتفصيل وكذلك الخصائص والنظريات الوجدانية للفتاة المراهقة، فى حين أن الاستمناء أو العادة السرية لا تعطى نفس هذه الأهمية.

٢ – العادات الصحية الخاصة بالحيض – مع استعمال عبارة «العادة الشهرية» أو مع شرح كلمة «الحيض أو الطمث» وهذه ينبغى أن تعالج على النحو التالى:

دعونا نفكر بضع دقائق عن أفضل طريقة للحياة فى هذا الوقت. فالحيض كما بينت لكن الآن ليس مرضاً بحال من الأحوال. بل الواقع أنه دليل على نمو صحيح سليم، إنه يدل على أن البنت آخذة فى سبيل النمو وأنها تقترب من اليوم الذى تستطيع فيه أن تمارس وظائفها كاملة كزوجة وأم. غير أن الحرص يدعونا إلى اتخاذ بعض القواعد الصحية، حتى إذا ما اتخذنا للأمر عدته – أى إذا اتخذنا الاحتياطات المناسبة – أمكننا بعد ذلك أن نتجاهل وجود العادة الشهرية ونتابع الحياة بالطريقة العادية تماماً.

دعونا الآن نزجى إليكن بعض النصائح، فبالنسبة للسيدات لا يجوز لهن بحال من الأحوال أن يجعلن المناشف التى تستعمل لامتصاص الإفرازات شديدة الالتصاق بالجسم كما ينبغى ألا يشد الحزام بقوة، وما ذكرناه عن الحزام ينطبق على استخدام الأشرطة من القماش أو المطاط، بل إن استخدام هذه يتطلب مزيداً من الحرص. وينبغى أن تغير المنشفة أو الفوطة من آن لآخر، حتى لا تصير جافة ويتسبب عنها التهابات مؤلمة.

ورأى الطب بوجه عام ضد استخدام الفتيات للفوطة الداخلية إذ قد يترتب على استخدامها أضرار فادحة، هذا إلى أنه كثيراً ما تستدعى الضرورة استعمال «فوطة» خارجية عندما يكون الحيض فى أعلى درجاته.

ومن الحكمة أن تتوقى السيدة أو الفتاة الالتهابات والاحتكاك وبخاصة فى نهاية الحيض، وذلك باستخدام قليل من بودرة التلك، أو باستخدام مادة مرطبة مثل اللانولين أو الجليسرين الجيلاتينى إلخ.

ومن المهم جداً أن يغسلن مواضع الجسم التى تتلوث. والطريقة المثلى لذلك هى استخدام الماء الدافئ والصابون مرتين يومياً، مرة فى الصباح وأخرى فى المساء، وإذا كان من عادتكن أخذ حمام يومياً فعليكن الاستمرار فى هذا كالعادة، وسوف تشعرون بكثير من الراحة إذا فعلتن ذلك.

أما التمرينات الرياضية فإنها تساعد الدم على المرور فى الجسم فى يسر وسهولة، وكلما كانت دورة الدم منتظمة كلما كان خروج الإفراز من الجسم أثناء الحيض أيسر فحاولن المداومة على التمرينات الرياضية كالعادة، ولا تنسين حصص التربية البدنية التى تقوم أجسامكن! بل لعله يكون من المفيد لو طلبتن من مدرّسة التربية البدنية أن تقترح لكن بعض التمرينات الرياضية التى تفيدكن فى هذه المناسبة بنوع خاص. والتمرينات الرياضية بالإضافة إلى ما سبق تساعد على انتظام حركة الأمعاء وانتظام الإخراج، ومن المهم جداً ألا تصبن بالإمساك سواء قبل الحيض أو فى أثنائه.

كثيراً ما توجه إلينا الأسئلة عما قد يصحب الحيض من آلام وصداع. وقد يرجع ذلك فى بعض الأحيان إلى احتقان يمكن التغلب عليه بممارسة بعض التمرينات البدنية المناسبة، والاهتمام بانتظام حركة الأمعاء والإخراج، والمحافظة على الجسم فى حالة سليمة. وقد تحدث أحياناً آلام شديدة نتيجة تقلص فى الطرف الأسفل لعضلة الرحم. فإذا قاسيتن من ذلك فلابد لكن من استشارة الطبيب، وكثيراً ما يكون العلاج الغدى ناجعاً فى هذه الحالات فتشفى الحالة. والمهم أنه لا يجوز لأية امرأة أن تهمل شأن نفسها فى هذه الفترات إذا انتابها المرض أو العجز دون أن تسعى جهدها للوصول إلى العلاج الناجع.

وبرغم أن الحيض يبدأ عادة حوالى سن الثانية عشرة فإنه قد يتقدم عن ذلك سنتين أو يتأخر مدة خمس سنوات فلا داعى إذن للقلق إذا صادف وكنتن ممن يبدأ عندهن الحيض متأخراً.

وأخيراً ماذا عسى أن أذكر فيما يتعلق بعدم انتظام زمن الحيض؟ إن الحيض كما تعلمن يتتابع كل ثمانية وعشرين يوماً على وجه التقريب، إلا أن كل واحدة تختلف عندها المدة اختلافاً هيناً، وفى بداية الأمر قد تلاحظ الفتاة قدراً كبيراً من عدم الانتظام. فما لم تشعر السيدة أو الفتاة بالمرض أو بانحراف فى المزاج فليس هناك ما يدعوها إلى القلق.

٣ – من المهم فى هذا المجال شرح شىء عن سن اليأس أو نهاية الحيض، وهى شىء طبيعى مقابل لبداية الحيض ولا ينبغى أن تتسبب عنه الأمراض، فإذا ما نشأ عنه الأمراض، فإذا ما نشأ عنه صداع أو غيره مما يسبب الآلام والمتاعب أصبحت استشارة الطبيب أمراً

لازماً، وهو فى الغالب قادر على إزالة تلك المتاعب بالالتجاء إلى العلاج الغُدّى. كما ينبغى إيضاح أن سن اليأس لا تعنى انتهاء الحياة الجنسية للمرأة.

٤ – ويصح أن يعالج موضوع تكوين الطفل وولادته بشىء من التفصيل، وبخاصة الإشارة إلى أهمية العناية الصحية خلال فترة الحمل، والغذاء الصحى المناسب، وهدوء البال وانشراح النفس. وينبغى توضيح أن آلام المخاض سرعان ما تصبح نسياً منسياً إذا ما تم الوضع، وأن الحمل والرضاعة كثيراً ما يبعثان الراحة الجسمية والوجدانية. وكذلك ينبغى تأكيد إمكانية تخفيف الألم بواسطة العقاقير، حتى إذا مرت السنون وحان الوقت الذى قد تصبح فيه أولئك الفتيات اللاتى يستمعن إلى المحاضرة على وشك الوضع، فإنهم يكن على علم بأن تسكين الألم ممكن ولهن حق المطالبة به. ومن المهم اصطناع الصراحة فى أن الولادة تتضمن معاناة الألم، ولكن ينبغى بث الثقة فى نفوسهن من هذه الناحية وينبغى أن تفهم الفتيات أن الأطباء والحكيمات أو القابلات على استعداد تام لمنح المرأة التى تعانى آلام المخاض كل اهتمام وعناية.

obeikandl.com

المحاضرة الثالثة

هذه هى المحاضرة الثالثة من هذه السلسلة، وقد ألقيت على جمهور مختلط، وكان الغرض الأساسى منها هو استثارة الأسئلة والمناقشة الخاصة بمشكلات السلوك والمشكلات الاجتماعية.

إليكم المحاضرة الأخيرة فى هذه السلسلة وإنى أعتقد من ناحية ما بأنها أهم هذه المحاضرات جميعاً. فقد كنا إلى حد ما نتكلم عن الإنسان كحيوان، أعنى كحيوان مثل الأرنب أو الخنزير أو الفيل. ولا ريب أن هذا أمر صحيح ومناسب، لأن البشر ضرب من الحيوان فى الواقع – حيوانات تشبه الثدييات الأخرى من نواح شتى، ولكننا نعتبر من ناحية أخرى ضرباً فريداً، يختلف عن سائر ضروب الحيوان.

ففى الاعتبار الأول نحن حيوانات لها ذكاء، وهذه إحدى مميزاتنا. ثم هناك فرق آخر بالغ الأهمية هو أننا اجتماعيون بدرجة كبيرة جداً، ونعيش معاً فى مجتمعات كبيرة. وهذه الحقيقة الواقعة – وهى أننا نعيش معاً فى مجتمع ولا نعيش أزواجاً منعزلة فى جزر صحراوية – تؤدى إلى كثير من التعقيدات التى تشوب سلوكنا الجنسى.

وربما كان أوضح الأخطار التى تنجم عن معيشة الناس معاً فى مجتمعات كبيرة هو سهولة انتشار الأمراض المعدية بينهم، وهذا أمر يسرى على جميع الأمراض القابلة للانتقال من المريض إلى السليم، ولكن الأمراض التى أعنيها فى هذا المجال – كما لابد أن تكونوا قد توقعتم – هى الأمراض التناسلية، وهى الأمراض التى تصيب الأجهزة التناسلية. وإنى أود أن تلاحظوا أننى أقول الأمراض التناسلية لا المرض التناسلى، لأنه يوجد أكثر من مرض واحد من هذه الأمراض. والأمراض التناسلية – بمنتهى البساطة – هى الأمراض التى تصيب الأجهزة التناسلية. وكثيراً ما يتساءل الناس: «هل يؤدى المرض التناسلى إلى هذا؟» «وهل يفعل المرض التناسلى ذلك؟» – كما لو كان هناك مرض تناسلى واحد، ولكن السخف الذى تنطوى عليه هذه الأسئلة لا يقل عما لو قلت: «هل يؤدى مرض الزور إلى هذا؟» «وهل تؤدى إصابة الساق إلى كذا أو كذا؟» بينما يتوقف الأمر على نوع المرض الذى أصاب الزور وعن أى إصابات الساق نتحدث. فهناك أمراض تناسلية متعددة وسوف نتكلم عنها منفصلة عندما نتحدث عن أسبابها، وآثارها وعلاجها.

هناك ثلاثة أمراض تناسلية منتشرة إلى حد ما ولكن يهمنا منها مرضان فقط، وقد أذيعت عنها من وقت قريب بعض النشرات والأحاديث، ولست أرانى فى حاجة إلى أن أعرض لها بالتفصيل، ولكنى إذا فاتنى إيضاح أى شىء فى هذا الصدد فإنكم تستطيعون أن توجهوا إلىّ ما تشاءون من أسئلة فيما بعد.

والآن لنلق نظرة إلى تلك الأمراض، ولنستعرض أسماءها أولا فالمرضان المنتشران كما تعلمون هما مرض الزهرى ومرض السيلان، ولكن هناك مرضاً ثالثاً ليست له أهمية المرضين السابقين واسمه القرحة الرخوة.

إن كلام من الزهرى والسيلان ينشأ عن ميكروبات حية خاصة، وليس هناك وسيلة للاصابة بالمرض بغير التلوث بتلك الميكروبات. ولكن للناس فى كثير من الأحيان أفكار فى منتهى الغرابة عن الطريقة التى يمكن أن ينتقل بها المرض التناسلى. ولكن الأمر واضح جلى، فما دامت الأمراض التناسلية تتسبب عن ذلك الميكروبات ومادامت تلك الميكروبات تصيب الأجهزة التناسلية، لذلك فإن المرض ينتقل من شخص إلى آخر فى أثناء الاتصال الجنسى، أى عندما تلتصق أجزاء الجسم الخاصة بعضها ببعض. والحق أن هذه هى الطريقة التى ينتقل بها المرض فى معظم الأحوال. ولكن من الممكن مع ذلك أن تحدث الإصابة بطريقة أخرى، فقد تعثر مثلا على بعض الحالات ينتقل فيها المرض على الشفاه بسبب تقبيل شخص مصاب، ولكن هذه الحالة فى الواقع نادرة جداً بحيث لا يصح أن تقلق بسببها. فاحتمال العدوى عن غير طريق الجماع هو احتمال ضعيف جداً، وهو احتمال أضعف كثيراً من احتمال أن تدوسك سيارة فى الطريق، لذلك فهو أمر خليق بأن لا يسبب لنا أدنى قلق.

وهذا يعنى أن الناس يستطيعون إلى حد ما أن يقرروا ما إذا كانوا سيعرضون أنفسهم لاحتمال الإصابة بتلك الأمراض، وهو ما لا يمكن القول به فى حالة كثير من الأمراض الأخرى. فأنت لا تستطيع مثلا أن تؤكد على الإطلاق أنك لن تجلس فى الأتوبيس بجوار شخص مريض بالأنفلونزا، ثم تستطيع بمجهودك الخاص أن تقى نفسك كل الوقاية من الإصابة بالبرد العادى أو بالدرن. ولكن فيما يتعلق بالأمراض التناسلية، فإنك تستطيع أن تجنب نفسك ذلك، فإذا ما قرر الناس الامتناع عن الاتصال الجنسى بشخص مصاب لما كان فى الإمكان أن يصاب أحد بالزهرى أو بالسيلان. وهذا يعنى عدم الاتصال الجنسى بأى كان غير شخص معين كالزوج أو الزوجة، وهو الشخص الذى عرفته مدة طويلة من السنين ولذلك فأنت تعرف حالته الصحية معرفة جيدة.

والآن فلنسأل: ما هى آثار تلك الأمراض؟ الواقع أن أضرارها تبلغ من الفظاعة حداً تستحيل معه المبالغة. غير أنى سأكتفى بملخص بسيط وسأترك التفصيلات الأخرى لمن يريد أن يسأل عنها بعد المحاضرة.

ففى حالة الزهرى، يظهر بعد الإصابة (بنحو أسبوعين أو شهر) دمل فوق الجزء المصاب أى أنه يكون عادة فوق العضو الجنسى. ثم من المؤسف أنه يختفى بعد ذلك. والآن دعونى أخبركم لماذا أقول «من المؤسف»: نفسه بعد فترة ما دون أى علاج. وحتى إذا أحس المرء فى بداية الأمر بأنه فى حاجة إلى العلاج فإنه عندما يرى أن الدمل قد اختفى يحمد ربه على

ذلك ويقول: «لقد كنت مخطئاً، فقد ذهب إلى غير رجعة»، ولكنه لم يكن مخطئاً فالميكروبات مازالت حية تتكاثر، وإذا ما حملها الدم فى تياره فهناك احتمال لظهور طفح على الجلد. ثم تختفى هذه الأعراض مرة أخرى وقد تمضى سنوات طويلة قبل أن يظهر شىء جديد يدعو إلى الاهتمام. فقد تمضى خمس سنوات وربما عشر قبل أن تبدأ الميكروبات فى توجيه ضربتها، وقد ضربتها إلى القلب فتسبب له خللا من نوع ما، أو قد توجه ضربتها إلى الأعصاب والنخاع الشوكى وتصيب معظم أجزاء الجسم بالشلل، وربما توجه ضربتها إلى المخ فيصاب الشخص بالجنون.

إن السيلان لا يبلغ فى خطورته مبلغ الزهرى، فهو ليس مهلكاً إلى هذه الدرجة، ومع ذلك فله ما يكفى من الأضرار. وأعراضه فى العادة هى إفراز سائل لبنى بعد الإصابة بمدة تتراوح من يومين إلى عشرة أيام. وقد يتسبب عنه بعض الألم وبعض الصعوبة فى خروج البول، وقد يكون ذا نتائج وخيمة فى حالة النساء؛ فالسيلان غالباً ما يسبب لهن العقم فلا ينجبن الأطفال الذين يتطلعن إلى إنجابهم.

إن هذه الصورة قائمة وليست سارة، أليس الأمر كذلك؟ ولكنه صورة حقيقية – بل إنها تمثل جزءاً من الحقيقة فحسب؛ ولذلك فأنتم تقدرون أن الإلحاح على المصابين بالمسارعة بالعلاج ليس فيه شىء من المبالغة، فإنهم إذا لم يسارعوا بالعلاج فإنما يهيئون أنفسهم للتعرض للكثير من الأضرار.

وهذه الأضرار لا تحيق بهم فحسب، بل قد تسبب للآخرين كثيراً من الأضرار. فالزوج قد يعدى زوجته، والزوجة قد تعدى زوجها! بل وأكثر من هذا أو أدعى إلى الأسف ما قد يحدث من انتقال العدوى إلى طفل لا يمكن أن نعده بحال من الأحوال، ومهما أغرقنا فى الخيال، مسئولا عن الإصابة التى لحقت الأسرة.

كما أن الطفل الذى لم يولد بعد قد يهلك ويلحقه الفناء قبل أن يرى نور الحياة. وفى حالة الزهرى يمكن أن تنتقل الميكروبات التى تسبب المرض من دم الأم إلى دم الجنين فى بطنها وبذلك تنتقل العدوى إليه قبل أن يولد. ولذلك فقد يقضى قبل الميلاد وتجهض الأم، وأحياناً يستمر فى بطنها مدة التسعة الأشهر ولكنه يولد ميتاً. وقد يولد بالغ الضعف ثم يموت بعد فترة وجيزة. وفى أحيان أخرى قد لا يموت وإنما يظل يعانى آثار المرض ما بقى له من العمر، فقد يكف بصره أو يفقد السمع أو العقل. هذه حالة محزنة، وهى تستدعى أن نفكر فيها تفكيراً عميقاً، وأعنى بها إمكانية انتقال الزهرى على هذا النحو إلى الطفل قبل أن يولد.

أما فى حالة السيلان فإن الأمر يختلف عن هذا، لأن الميكروبات التى تسبب المرض لا يمكن أن تنتقل من دم الأم إلى دم الطفل، ولذلك فإن الطفل لا يمكن أن تنتقل إليه العدوى

قبل الميلاد. ولكن من الممكن أن تنتقل إليه العدوى أثناء الوضع عند مروره من الرحم إلى المهبل إلى الخارج. فإذا كان ميكروبات مرضا لسيلان موجودة فى أثناء هذا، فقد تنتقل إلى الطفل. وهى فى العادة تصيب العين. ويوجد فى الهند مثلاً ملايين من الأطفال المكفوفى البصر انتقلت إليهم العدوى فى أثناء ولادتهم نتيجة إصابة أمهاتهم بمرض السيلان. لهذا صار من المألوف فى كافة البلاد المتمدينة أن يضع الطبيب (أو من يقوم بعملية الولادة) قطرة خاصة تقتل أى ميكروب قد يكون موجوداً فى العين. هذا كل ما أود ذكره فيما يتعلق بنتائج الأمراض التناسلية وآثارها.

فما هى طرق العلاج؟ إن أول شىء ينبغى أن نذكره هو أنه إذا ما خامر الشك نفس شخص فى احتمال إصابته. فإنه يستطيع بذهابه إلى أحد المستشفيات أو العيادات أن يجد العلاج الناجع وأن يحقق لنفسه الشفاء. هذا إذا أسرع فى الذهاب فى الوقت المناسب. ولكن الصعوبة الكبرى هى فى تقاعس المصابين عن طلب العلاج بالسرعة المطلوبة، إذ بدلا من الإسراع فإنهم يسوِّفون، فإذا ما تمكن المرض منهم زادت صعوبة الشفاء. والواقع أن طرق العلاج الحديثة ناجعة جداً أو فى غاية البساطة. ففى حالة الزهرى يقتصر العلاج عادة على الحقن. وفى حالة السيلان يقتصر – فى الغالب – على أقراص يتعاطاها المصاب عن طريق الفم، ولكن المهم فى الأمر هو أن الشفاء أمر مستطاع، بشرط أن يبدأ العلاج بعد الإصابة بزمن وجيز.ولربما تسألون: وكيف يتأكد المرء مما إذا كان قد أصيب أم لا؟ والجواب هو أن هذا غير ممكن. أما الطبيب فإنه يستطيع ذلك باستخدام الميكرسكوب وبالاختبارات الكيميائية. ولكن من المستحيل بالنسبة للغالبية العظمى منا أن يتحقق الواحد من هذا بنفسه. والشىء الوحيد الذى يمكن أن نقوله فى هذا الصدد هو أنه إذا بلغت الحماقة بشخص ما فأقدم على الاتصال الجنسى بشخص لا يثق بخلوه من المرض، فمعنى هذا أنه قد أقدم على مجازفة خطيرة، فيتحتم عليه الإسراع فوراً إلى عيادة طبية للكشف، ولابد من البدء تواً فى العلاج إذا ظهرت الحاجة إلى ذلك.

إن ما ذكرته حتى الآن لا يكاد يتعدى الحقائق البحتة وتستطيعون أن تثقوا به. ولكننا إذا ما انتقلنا إلى مسألة القوانين أو الشرائع التى تنظم السلوك الجنسى فإن الأمر يختلف عن هذا، فلكل شخص الحق فى أن يكوِّن رأيه بنفسه، ولا أستطيع أنا شخصياً أن أقف هنا بينكم وأشرح ناموساً – يجب أن تفعلوا هذا وأن تمتنعوا عن ذاك – يسرى على الجميع. لن أفعل هذا، لأنه يبدو لى أن المسألة تتطلب من الجميع إنعام النظر فى الأمر من جميع جوانبه، وأنه يكوّن كل واحد منا رأيه الخاص فيه. وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أعرض بعض الحقائق ثم أستعرض بعض وجهات النظر، وبعد ذلك تستطيعون أنتم أن تكوّنوا وجهات نظركم كل بنفسه.

ففيما يختص بمشكلة آداب السلوك الجنسى ينبغى أن نواجه حقيقة هامة هى أن الاتصال الجنسى فى خارج حدود الزوجية يعتبر فى مجتمعنا هذا أمراً خاطئاً. ونحن نعلم أيضاً أن هناك بين ظهرانينا من لا يسلمون بهذا القانون على الإطلاق؛ لذلك دعنا نستعرض بعض النقط التى ينبغى أن نأخذها فى حسابنا عند تقرير وجهة نظرنا الخاصة فى هذا الصدد.

بالإضافة إلى أخطار الإصابة بالأمراض التناسلية فإننى أعتقد أن أوضح اعتراض – ولست أقول إنه بالضرورة أهم اعتراض – ضد الاتصال الجنسى خارج نطاق الزوجية هو احتمال إنجاب طفل غير شرعى. وإنى أعرف أن البعض يستطيع أحياناً أن يتأكد من عدم حدوث هذا، ومع ذلك فالاحتمال قائم دائماً، وعليه فالمخاطرة موجودة كذلك. وأنتم تعلمون أن الطفل غير الشرعى لا يجد سبيله فى الحياة ميسراً هيناً.

ولعلكم تستشعرون الظلم الذى يقع على الطفل غير الشرعى بسبب الوصمة التى تلحقه منذ ولادته، والصعوبات التى تعترض طريقه فى الحياة. إن أغلب الناس ذوى المنطق السليم يتفقون، على ما أعتقد، فى أن الطفل ينبغى ألا يقاسى بسبب ما فعله والداه، ولكن الواقع أنه حتى ولو لم يضار الطفل من جراء نظرة المجتمع إليه، وحتى لو أرسل مؤسسة ممتازة لتنشئته، فإنه يظل بعد هذا يفتقد كثيراً مما هو بحاجة إليه. فالطفل بحاجة إلى أن يكون له بيت، وأن يكون له والدان يتطلع إليهما لحمايته وإرشاده، والدان يعتمد عليهما ويثق بهما. ولكن الطفل غير الشرعى فى العادة لا يجد هذا السند المكين لحياته، وعلى ذلك كان لزاماً على أى اثنين أن يتبصرا فى هذه المشكلة بإمعان قبل أن يقدما على تلك المغامرة، فينجبا للحياة طفلا يعانى فيها من مثل هذه المشاكل والصعاب.

إن الكثيرين بطبيعة الحال ينظرون إلى مسألة آداب السلوك الجنسى نظرة دينية، ويتصرفون إزاءها بحسب ما تمليه هذه الآراء الدينية؛ وهؤلاء يعتبرون العلاقة الجنسية خارج رباط الزوجية إثما، وهذا يحل لهم الأشكال حلا قاطعاً. ولكن الأمر يختلف عن هذا بالنسبة لكثير من الناس، فهم لا يبتون فى هذه المشكلة على الأساس الدينى وإنما يميلون إلى استعراض مختلف الاعتبارات فى ذهنهم عند تقرير رأيهم. فما هى الاعتبارات الأخرى للمسألة؟

يبدو لى من الاعتبارات الهامة أن العلاقة الجنسية خارج نطاق الزوجية ينبغى دائماً أن تكون فى الخفاء ومحاطة بالسرية، أى أن تكون مرتبطة بالزوايا والأركان البعيدة عن الأنظار. فقد يخشى الاثنان مما قد يقوله الجيران عنهما، أو لعلهما يخشيان من أن يجر ذلك الفعل إلى طرد أحدهما من وظيفته. وعلى كل فهناك فى العادة من الأسباب ما يدعو إلى ستر حبهما وإخفاء أمره عن الغير – وهذا مما ينتقص كثيراً من روعة تلك العلاقة وبهائها. وعندما يتحاب شخصان فإنهما لا يرغبان فى إخفاء هذه الحقيقة عن سائر الناس، بل إنهما على

العكس يرغبان فى أن يعبرا عنها فى صراحة وإخلاص. فما كان الحب لينزوى مستتراً فى ركن من الأركان، لأن إخفاءه وإحاطته بالتكتم والسرية يفقده كثيراً من أروع ما فيه.

وثمة نقط أخرى ينبغى أن يعيها العقل أيضاً. وأعتقد أن إحدى هذه النقط هى ما يوفره الزوج من فرص المتع النفسية. فبرغم أن الجنس جزء بالغ الأهمية فى الحياة، فهو قطعاً ليس كل شىء فى الحياة، ولا هو كل شىء فى الزواج. حقاً يتزايد احتمال سعادة الزوجين إذا كانت العلاقة الجنسية بينهما منسجمة، وإذا كانت حياتهما الجنسية ناجحة وبهيجة، ولكن كما يقول المثل: «إن الزواج أكثر من أربع أرجل عارية وفراش». فإنك تتوقع أن يكون فى الزواج علاقات الصداقة المألوفة. ففيه نزهات مشتركة وارتياد للمسارح والسينما، ومجرد الجلوس معاً للقراءة، وربما مجرد الاغتسال سوياً، فهذه الحوادث اليومية التى يؤديها الزوجان سوياً على مدى سنوات، هذه الصلات الصغيرة التى تزخر بها الحياة اليومية، هى التى تربط حياة شخصين لتحيلها حياة واحدة مشتركة، وهى التى تجعل من الزواج وحدة حقيقة. ولما كان الزواج يزيد كثيراً عن مجرد علاقات جنسية، فإن هذا يعنى أن الحبيبين غير المتزوجين غالباً ما ينتزعان العملية الجنسية من بقية الحياة، فالجنس منعزل فى حجرة وبقية الحياة فى حجرة أخرى. ولكن حياتنا تتميز بالوحدة والتكامل فلا يمكن أن نقتطع منها جانباً ونستمر بعد ذلك فى أداء الوظائف الحيوية أداءاً سليباً. فإذا استحال على الشخصين أن يعيشا معاً حياة مشتركة تامة – كما هو الحال فى الزواج – وهو ما لا يتحقق بغير زواج، فإن الجنس عندئذ ينعزل عن بقية الحياة، وهذا مما ينتقص من قدر العلاقة كلها.

لا ريب فى أن عوامل الإغراء على تكوين العلاقات الجنسية قبل الزواج لها قوتها، ومما يزيد فى تأثيرها تلك الظروف التى تدعو إلى تأخير سن الزواج. فالزواج لا يحدث فى كثير من الأحيان إلا فى أواخر العقد الثالث من العمر، أو ربما فى العقد الرابع أى بعد نحو من خمسة عشرة عاماً من بداية المراهقة. وإذا كان نمو الشباب الجسمانى سليما صحيحاً فلابد من أن تتولد لديهم ميول ورغبات جنسية عادية، ومع ذلك فعليهم الانتظار سنة بعد أخرى لعجزهم عن الاضطلاع بالمهام الاقتصادية للحياة الزوجية. فلا غرابة إذن فيما يقوله الشباب فى بعض الأحيان من أن المجتمع غير محق فى أن يمنعهم من أية علاقات جنسية قبل الزواج ما دام هو (أى المجتمع) لا يتيح لهم فرص الزواج عندما يرغبون فيه. وليس ثمة شك فى أن على كل شخص منا، يحس بأهمية الزواج والعلاقة الزوجية ويدعو إليهما، أن يبذل غاية الجهد فى إزالة العقبات المادية التى تعترض سبيلهما.

ولابد لنا عند النظر فى مشكلة القيم الجنسية من أن نوضح أن سوء الخلق على أنواع، بينما يخيل إلى من يستمع إلى الناس وهم يتكلمون فى هذا أنه لا يوجد سوى سوء الخلق الجنسى. إن هذا حديث خرافة لأنه الكبرياء أو الغطرسة والطمع والأنانية قد تكون فى سوء

الخلق من الزنا. ثم دعنا نميز الآن بين العلاقات الجنسية الخارجة عن نطاق الزواج، إذ لا ينبغى أن نضعها جميعاً فى صعيد واحد ونطلق عليها جميعاً «خلق شىء». فالعلاقة بين الرجل الذى يتصل بأية امرأة كيفما اتفق – ولتكن بغيا – لا شك فى أنها تستوى مع العلاقة بين متحابين يرغبان فى الزواج وتعطلهما ظروفهما عن ذلك. إننا لا نحسن صنعا إذا لم نميز بين الأنواع المختلفة من العلاقات.

أما فيما يتعلق بالبغاء – وهو بتعبير آخر استئجار الجسم الإنسانى بغرض ممارسة العملية الجنسية مع دفع الثمن – فأنا على ثقة بأنى فى غير حاجة إلى الإفاضة فى الكلام عنه، لأن أى شخص محترم لابد أى يرى فيه أمراً يدعو إلى التقزز، فهو أمر مزر يتنافى مع الخلق الكريم، لأن فكرة الاتصال بشخص دون معرفة جيدة ثم تحويل العملية التى ينبغى ألا تكون إلا بين أقرب الناس إلى عملية تجارية هو فى الواقع أمر مشين، وهو لاشك أحط من معظم العلاقات الجنسية الأخرى.

والآن ما حكم الإباحية الجنسية؟ أعنى العلاقات الجنسية المتغيرة أى التى ينتقل فيها الشخص من فرد إلى آخر، والتى وإن كانت لا تنطوى على دفع الثمن إلا أنها متقلبة لا تؤدى إلى تكوين أية علاقة متينة أو ثابتة. إن هذا التنقل من شخص لآخر ينزل بالعلاقة الجنسية إلى نفس مستوى اختيار زميل للمشاركة فى لعبة التنس أو الطاولة أو ما يشبه ذلك. وقد يجعل هذا من الجنس شيئاً ممتعاً مثيراً، على أنه أمر عارض. لكنه لا ريب يقضى على أروع ما فى الحب! إذ يبدو لى أن أروع علاقة تقوم بين الرجل والمرأة لا تنمو إلا إذا اتسمت بنوع من الاستمرار، أى على أساس حياة مشتركة طويلة بحيث يتمكن الاثنان من أن يعرف بعضهما بعضاً معرفة صحيحة. ولست أقول بأنه لابد أن تكون العلاقة مستمرة دائمة لا انفصام لها، فإن هذا يثير مسألة الطلاق وهو ما لا أود أن أقول فيه الآن شيئاً، ولكن لو رغب البعض فى مناقشته فيما بعد فلا بأس من ذلك.

إن المشكلة العاجلة الملحة بالنسبة لمعظم الشبان ليست هى مشكلة الاتصال الجنسى الكامل بقدر ما هى مشكلة «المعانقة والمداعبة» على حد تعبير الأميريكيين. فقد تروق الفتاة فى عين الفتى فيرقصان سوياً ويسبحان ويتنزهان معاً. ولكن الأمر لا يقف دائماً عند هذا الحد. فالملاطفة قد تزداد عمقاً، وقد يجدان أحاسيسهما الجنسية قد التهبت لدرجة لا يستطيعان معها أن يقفا دون إكمال العملية الجنسية إلا بشىء كبير من الصعوبة. إن ما أعنيه الآن هو ذلك اللون الجنسى من الملاطفة الذى يعمق ويكون تلامس الجسمين فيه كبيراً.

إن الوظيفة الطبيعية لمثل هذه المداعبة (الجسمانية) هى أن تكون خطوة أولية تمهد للاتصال الجنسى الذى يعد القمة الطبيعية لهذه العلاقة. فإذا لم تبلغ هذه العلاقة قمتها فإن الفتى والفتاة سوف يفترقان وعواطفهما متوترة. ففى أثناء المداعبة والملاطفات تتجمع وتتراكم

الأحاسيس الملتهبة المتوترة، فى حين أن الاتصال الجنسى الكامل يسكن من حدتها ويرجعها إلى حالة الهدوء والاسترخاء. وعلى ذلك مثل هذه المداعبة غير الكاملة تشبه شد قطعة من المطاط حتى تتمدد بغير أن يسمح لها بالانكماش، وإذا تكرر هذا فإن المطاط يفقد مرونته؛ وهذه هى مشكلة المبالغة فى المعانقة والمداعبة حيث تتوتر الانفعالات دون أن يسمح لها بالاسترخاء.

ووجه الخطر فى هذه المداعبة هو أنه من اليسير جداً ن يذهب المرء إلى أبعد مما أراد، فكل خطوة تجعله ينزلق، وكلما استطرد الشخص فى ذلك كلما كان الوقوف والتراجع أعسر منالا. ولذلك كانت الخطة الرشيدة الوحيدة التى ينبغى أن يسير عليها أى رفيقين هى أن يفكرا فى الأمر معاً، وأن يتفقا على مستوى السلوك الذى يرتضيانه لنفسيهما، وأن يلتزماه. ومن المستحين أن يتركا منطقة أمان قبل الحد المسموح به حتى لا يزال المرء قليلاً ثم نفسه متجهاً بسرعة إلى الأمام.

وإذا كنتم تريدون أن تضمنوا ضبط أنفسكم فينبغى أن تحذروا من تعاطى الكحول والمشروبات الروحية. فلاشك فى أن شرب الكحول يقلل من قدرة الإنسان على ضبط نفسه. فبعد كأس أو اثنين قد تجد نفسك قد زللت، وبدأت تفعل ما تأسف على إتيانه فيما بعد.

لقد تعرضت حتى الآن لبعض النقط الهامة التى تتعلق بالاعتبارات التى ينبغى أن يأخذها المرء فى حسابه فيما يختص بالعلاقات الجنسية، ولكن هناك نقطة أخرى لابد لى من مناقشتها قبل أن أنتهى من حديثى هذا؛ هذه النقطة هى ما يسمى المستوى الخلقى «ذو الوجهين»، فقد يقابل المرء أحياناً رجالا بعيدين عن بيوتهم – بل ربما كانوا بعيدين عن بلدهم – ويتبين أن لهم علاقات جنسية مع أشخاص يقابلونهم مصادفة فى بيئاتهم الجديدة. ومما يدعو إلى العجب أنك تجد أن نفس هؤلاء الرجال الذين يكونون علاقات جنسية مع نساء أخريات يفزعون تماماً لمجرد الظن بأن زوجاتهم قد تكون لهن نفس هذه العلاقات مع رجال آخرين. إنى لا أتبين وأيم الحق أية عدالة فى هذا السلوك. فإن ما يعد خطأ بالنسبة لأحد الشريكين لابد أن يعد كذلك بالنسبة للآخر. ولا يصح إطلاقا أن يوضع للجنسين مستويان مختلفان لآداب السلوك يختص أحدهما بالرجال بينما يختص الآخر بالنساء؛ ذلك لأن ما هو خير بالنسبة لأحد الجنسين يكن خيراً بالنسبة للجنس الآخر، وما هو شر بالنسبة لأحدهما إنما هو شر لكل منهما.

والآن وقد أوفيت على النهاية مازلت أستطيع أن أتحدث فى هذا الموضوع مدة ساعات وساعات. فإن هناك أشياء كثيرة يمكن أن تقال فى موضوع الجنس، فهو ليس بالموضوع الذى يمكن أن تفيه حقه فى ثلاثة اجتماعات بل ولا فى ثلاثين اجتماعاً. ومع ذلك فإنى أرى من الأنسب أن أختم الحديث عند هذا الحد حيث سيكون لبعضكم أسئلة يرغبون فى توجيهها، سواء أكانت مختصة بحديث الليلة أو بما سبقه من أحاديث.

المحاضرة الرابعة

ألقيت هذه المحاضرة فى جمع من الآباء يتعلم أبناؤهم فى مدرسة ثانوية تتبع منهجاً مدروساً يوجه عناية خاصة إلى التربية الجنسية. وقد دار محور المحاضرة حول أسئلة مثالها: هل يصح أن نفعل هذا؟ «حقاً سنفعل ونأمل فى مساهمتكم معنا». ومن ثم فقد كان الطابع البارز لهذا الحديث هو المناقشة الحرة الصريحة:

إننى أشعر بالغبطة إذ أتيحت لى فرصة الحديث إليكم الليلة، فمن الأمور الجميلة حقاً أن تجتمع هيئة التدريس وأولياء أمور التلاميذ فى المدرسة ليتباحثوا فى موضوع التربية الجنسية لأطفالهم. فكلما توطدت أواصر التعاون بين المدرسة والبيت كلما زاد الخير المترجى من وراء ذلك التعاون، وهذا أصدق ما يكون فى التربية الجنسية بنوع خاص. فإن المدرسة تستطيع أن تخط بنفسها طريقها بدرجة معقولة سن النجاح فى مثل تعليم الحساب أو الجغرافيا، ولو لم يقدم البيت إليها إلا أقل معونة. غير أن الأمر جد مختلف فيما يتعلق بالتربية الجنسية، فللحصول على أفضل النتائج كان التعاون الوثيق بين الوالدين والمدرسين ضرورة لا غنى عنها؛ فكلانا يحتاج إلى أن يلم بما يعمله الطرف الآخر والموعد الذى يعمله فيه، حتى يمكن أن تتلاءم خططنا سوياً، ومن ثم نتمكن أن نجنى من ذلك أفضل النتائج.

ولكنى أتساءل أليس من الأفضل قبل الخوض فى التفاصيل أن أقول كلمة بسيطة فى مسألة التربية الجنسية فى مجموعها. إن معظم أفراد الجيل الذى ننتمى إليه لم يتلقوا من التربية الجنسية شيئاً مذكوراً، أو على الأقل لم يتلقوا من التربية الجنسية – المبنية على خطة مشتركة متفق عليها بين المدرسة والبيت – إلا النذر اليسير.

لعل بعضاً منا قد تحدث مع أبيه أو أمه قليلاً، ولربما جرى بيننا وبين الناظر أو أحد المدرسين حديث على انفراد حين كنا فى عهد الدراسة لم نترك المدرسة بعد، وإنى أحسب أن معظمنا – باستثناء القلة المحظوظة منا – لم يظفر بجانب آخر من التربية الجنسية أكثر من ذلك. أما فيما يختص بما زاد على ذلك من معلومات فقد استقيناها مما كنا نلتقطه من أصحابنا أو مما كنا نتسقطه من ثنايا حديث الكبار. وهذا أبعد ما يكون عن الطريقة المثلى لتلقى التربية الخاصة بناحية من أهم نواحى الحياة.

وإذا كنا نضع الخطط التعليمية الدقيقة التى تبين كيفية حساب الزمن الذى يقطعه قطار الإكسبريس من لندن إلى جلاسجو أو من القاهرة إلى أسوان، أليس مما يثير الدهشة حقا أن نترك الخطط التعليمية التى تبين كيف تسير الحياة وتتقدم، وكيف تكون العلاقات بين الرجال والنساء وبين الآباء والأبناء؟ نتركها تحت رحمة الظروف أو تحت تأثير الدروس التى تلقى فى أركان الشوارع والأزقة.

إن معظم الآباء اليوم يدركون نقص التربية التى نالوها من هذه الناحية؟ ويرغبون فى أن يفهم أطفالهم شيئاً عن مكان الجنس من الحياة. بل إن الرأى العام قد تغير تغيراً ملحوظاً جداً بالنسبة لهذا الأمر فى السنوات الأخيرة، مما يرجع لحد كبير إلى الظروف التى نشأت عن الحرب. فقد كان من أثر تصدع كثير من الأسر لغياب أحد الوالدين وترحيل الأطفال أو ازدياد حدة التوتر الجنسى التى صاحبت تلك الأوقات، كان من أثر ذلك كله أن انطلقت العلاقات الجنسية وتحللت من قيودها، فزاد انتشار الأمراض التناسلية تبعاً لذلك. ولكن بالرغم من أن الحرب هى التى وجهت الكثيرين من الناس ليعاودوا التفكير فى المسألة، فإننى لا أعتقد أن التربية الجنسية مسألة مرتبطة بوقت الحرب، فهى مرتبطة بوقت السلم أيضاً. ففى الأوقات العادية عندما ينضج الشباب ويبلغون سن الرشد، يجدون لزاماً عليهم أن يصلوا إلى قرار فى كيفية استخدام قواهم الجنسية – وهل ستكون هذه القوى وسيلة لرفع شأن الحياة أو لتدنيسها. لذلك فمع ضرورة تقديرنا للظروف الشاذة الحاضرة وأخذها فى اعتبارنا فإنى أرجح أننا نكون أكثر حكمة إذا فكرنا فى التربية الجنسية أساساً كجزء من برنامجنا التربوى العادى للتلاميذ العاديين فى الأوقات العادية.

ولنكتف بهذا التمهيد. والآن ماذا نحن فاعلون فى هذا الصدد؟ كأنى ببعضكم يقول ليست ثمة ضرورة لعمل أى شىء، وإننا نستطيع أن نترك الأمر كله فى رعاية الله. وربما يذهب بعضكم إلى القول بأن الحكمة تدعونا إلى أن لا نعمل شيئاً، وأن من الخير إطالة الفترة التى يقضيها الأطفال وهم فى ظلام أو على جهل بهذه الأمور. فإذا كان الأمر كذلك فإنى آمل ألا تترددوا فى أن تجهروا بهذا عندما نبدأ فى مناقشة الموضوع فى نهاية الاجتماع.

أما إذا اتفقنا بأن الواجب يقضى بأن نفعل شيئاً ما فى هذا الصدد، فلابد أن نقرر من هو ذاك الذى ينبغى أن يضطلع بذلك العمل. هنا بطبيعة الحال أوجُهُ نظر مختلفة فى هذا الصدد، فغالباً ما يقول المدرسون بأن التربية الجنسية هى مهمة الوالدين، بينما يميل الوالدين إلى القول بأنها من صميم عمل المدرسين. فأيهما على حق؟ ربما كان كلاهما على حق. فهناك عنصر من الحقيقة فى كلا القولين. وإنى أظن أنها مهمة الوالدين كما أنها أيضاً مهمة المدرس، فكلاهما يستطيع أن يساهم فيها بنصيب. ألم يحن الوقت بعد ليمتنع فيه كل طرف من الطرفين عن محاسبة الطرف الآخر، وأن نعنى بما يستطيع كل منا أن يؤديه؟ هذا هو الغرض من اجتماعنا الليلة، لنرى كيف يمكن الآباء والمدرسون أن يتعاونوا.

وإنى أستميحكم فى أن أبدأ الموضوع مستعرضاً وجهة نظر المدرس، فعندنا بالمدرسة تلاميذ صغار وكبار وكلوا إلى رعايتنا، ونود أن نفعل غاية ما نستطيع من أجلهم. ولكن ما نستطيع أن نفعله يعتمد لحد كبير على أثر المنزل فى حياتهم والعلاقة التى نشأت بينهم وبين والديهم.

فهل يا ترى قد أجيب عن أسئلتهم المتعلقة بنشأة الأطفال ومن أين يأتون بحرية وبشكل طبيعي، أو بالكذب التام، أو انتحلت لهم الأعذار لصرفهم عن أسئلتهم؟

إن إجابة هذا السؤال ذات شأن كبير في تكييف اتجاهاتهم العقلية نحو الجنس. وهاكم الأمر الذي نريده نحن المدرسين ونضعه في الاعتبار الأول. وهو أننا نحب أن نشعر بأن الآباء قد تنحوا عن خرافة وجود الطفل تحت شجرة التوت أو الجميز! وليدعوا هذه الأشجار وشأنها تثمر توتاً وجميزاً، وأن يجيبوا أطفالهم بأمانة. ولكن ليكن في علمكم أن الأمر يحتاج لشيء من التبصر والروية. ومن الواضح أننا يجب ألا نثقل كواهل الأطفال بالمعلومات التي لم يتهيئوا بعد لقبولها. قد يصادف المرء أحياناً جماعة من الآباء يخبرونك بأنهم عصريون للغاية، ويفخرون بالصراحة التي يجيبون بها أسئلة أطفالهم دون خوف أو وجل، ولكن عندما تنصت إلى تلك الإجابات تجدها طريفة، أقرب إلى الخوف منها إلى عدمه. فقد يسأل الصغير قائلا: «ماما! من أين يأتي الأطفال؟» وبدلا من أن تجيبه أمه بجملة واحدة أو جملتين يجري بعدها ليلهو بلعبه، فإنها تلقى عليه محاضرة طويلة عن التشريح وفيسيولوجيا التناسل. فالهم احفظنا من الآباء العصريين من أمثال هؤلاء؛ من المؤكد حقاً أنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح – غير أن عيبهم الوحيد هو أنهم يذهبون أبعد مما ينبغي عدة محطات إلى الأمام! ولكن الواقع أنه إذا أجاب الوالدان عن أسئلة الأطفال بأمانة وبوحي الظروف مع إنعام النظر والروية فإن مهمتنا كمدرسين تصبح أهون وأيسر سبيلا. وإذا اعتاد تلاميذنا مشاهدة إخوتهم وأخواتهم الصغار وهم عرايا بغير ملابس بحيث لا يتكون في نفوسهم ذلك الشغف المَرَضي باستطلاع خوافي الجنس الآخر فإن هذا يكون أمراً مفيداً حقاً.

والآن دعونا ننظر في خلال المنظار من طرفه الآخر. ماذا تتوقعون أيها الآباء أن نقوم به نحن المدرسين. من حقكم أن تنتظروا من المدرسة أن تعطي أطفالكم صورة عامة مبسطة عن الحقائق الجنسية والتناسلية، وبطبيعة الحال لابد من أن يكونوا قد أخذوا عنكم معظم الحقائق، ولكنا نستطيع في دروس علم الأحياء أن نضعها في مواضعها الملائمة، ونمكن أطفالكم من أن يتخلصوا من المعلومات الخاطئة الغريبة التي التقطوها من هنا وهناك، ومن ثم تكتمل لديهم صورة صحيحة للموضوع كله. ونستطيع أيضا أن نعطيهم فكرة عن العلاقات المناسبة بين الرجل والمرأة وبين الأب والابن، على أن تهيئ لهم المدرسة الجو الذي يساعدهم على أن ينظروا إلى الجنس كشيء صحيح سليم. وعندي أن توفير هذا الجو لا يقل في الأهمية عن كل ما أسلفنا ذكره، وسوف نكتفي بما ذكرناه حتى الآن من أمور عامة، فسرد العموميات سهل ميسور، ولننزل إلى الميدان العملي فنرى كيف يمكننا أن نطبق الآراء النظرية. ولست أدعي أن ذلك أمر سهل هين، ولذا فإن كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أعرض عليكم بعض الاقتراحات راجياً منكم المساعدة عندما نفتتح باب المناقشة فيما بعد.

من الأمور التى تودون بطبيعة الحال أن تعرفوها، المدى المناسب الذى تذهبون إليه فيما تخبرون به أطفالكم من المعلومات فى هذا الموضوع، والسن المناسبة لكل قدر من المعلومات. فمسألة السن هذه مسألة هامة، وقد تعترى الدهشة بعضكم إذا ما قلت إن الحقائق الأساسية ينبغى أن يفهمها الأطفال فهماً تاماً قبل أن يصلوا إلى سن الثانية عشرة. ولدى من الأسباب ما يجعلنى أقترح هذه السن التى قد يراها البعض منكم سنا مبكرة لا تتفق مع هذا الأمر. أما الأسباب الأساسية فذات أسانيد ثلاثة:

فالسبب الأول هو أنه إذا ما أجلنا هذا الأمر طويلا بعد هذا التاريخ التقط الأطفال معظم المعلومات بأنفسهم، وهم بالطبع سيلتقوطنها مشوهة محرفة، ولكنهم على أية حال سيكونون قد التقطوها فعلا. حقاً إن التغير الذى حدث خلال العشرين أو الثلاثين عاماً الأخيرة، فيما يتعلق بالسن التى يتلقى فيها الصغار هذه المعلومات، لما يدعو إلى الدهشة. ومازلت أذكر أننى لم أكن طفلا جاهلا بالنسبة لأقرانى فى هذا الموضوع. قد لا ينطوى هذا على خلق سوى، ولكن إذا استمع بعض الراشدين إلى أحاديث أطفالهم فى الشارع أو الملعب لأفادوا من ذلك كثيراً، ولسوف يكون ذلك فى الغالب مدعاة إلى تفتح أعين الكثيرين من هؤلاء الكبار. وليكن فى علمكم أن الأحاديث الجنسية ليست بالضرورة أمراً ضاراً. فالأمر كله يتوقف على طريقة الحديث فى الموضوع – أهو بصراحة وحرية أو هو أمر خفى مصحوب بضحك خافت مشوب بالخجل. لكن الواقع، الذى لابد لنا إذاً من مواجهته، هو أننا إذا ما أغفلنا أمر تزويد أطفالنا بالمعلومات حتى يتجاوزوا سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة بزمن طويل، فإننا سنكون قد تأخرنا عن تحقيق هدفنا وفاتنا القطار. أغلب الظن أنكم تعرفون قصة ذلك الأب الذى شعر، عندما وصل ابنه إلى سن الرابعة عشرة، أن من واجبه أن يخبره عن بعض «حقائق الحياة» فبعث الأم إلى الخارج لقضاء حاجة ما، وبعث الأخت الكبرى لزيارة بعض الجيران، ثم انتظر حتى نامت الأخت الصغرى، فأجلس ابنه محسن على كثب منه وقال له فى تلعثم: «محسن». فأجاب الصبى قائلا: نعم «يا والدى». «أود.. أود أن أتحدث معك». «نعم يا والدى وعن أى شىء؟» «آه.. عن الـ.، البنات وأشياء أخرى». فأجابه محسن قائلا: «لا بأس يا والدى وما الذى تريد أن تعرفه عن ذلك؟». إنى لا أؤكد صحة هذه الأقصوصة – بل إنى أبعد ما أكون عن ذلك! ولكنها تتضمن فى ثناياها أمراً صحيحاً هو أنه ينبغى ألا نؤجل الأمر حتى تضيع الفائدة المرجوة منه.

أما السبب الثانى الذى يدعونى إلى اقتراح هذه السن المبكرة لإعطاء المعلومات الجنسية فهو سبب بسيط. فحوالى هذه السن بالذات عند البنات، وبعدها بفترة ما عند الأولاد تحدث تغيرات جسمية هامة جداً كثيراً ما تكون مصدراً لشىء من القلق. فمنذ هذه السن يبدأون فى التجول من بنات وأولاد إلى نساء ورجال. إن مرحلة المراهقة هذه يندر أن تخلو من أسباب

كثيرة للقلق والانزعاج، وذلك لأن أمرها لا يقف عند حد التغيرات الجثمانية الهامة بل إنه تحدث فيها تغيرات وجدانية بالغة الأهمية أيضا. فإذا عرف شبابنا مقدماً تلك التغيرات التى يتوقعون حدوثها، كأن تكون الفتاة متهيئة لاستقبال الحيض وكأن يعلم الفتى أمر الاحتلام الليلى، إذا كان الأمر كذلك فستختفى من مرحلة المراهقة أشياء كثيرة مما يسبب الحيرة والقلق للمراهقين. وإذا كنا سنخبر أطفالنا ونوجههم فى هذه الشئون فلا ريب أن من الخير أن نبادر بفعل ذلك فى السن التى تمنحهم فيها تلك المعلومات والإرشادات أكبر جانب من المساعدة، ولا نتركهم يعانون الأمرّين لجهلهم بها عاماً أو عامين.

وعندى أن أهم ما يدعونا إلى بدء تزويد الأطفال بالمعلومات الأساسية قبل الثانية عشرة ليس مبنياً على أساس نظرى على الإطلاق بل إنه مجرد خلاصة الخبرة العملية، فالمدرسون الذين ساهموا بقسط ما فى هذا الموضوع يعرفون أن التلاميذ الذين يتجاوزون سن الرابعة عشرة مثلا يبدأون فى تكوين ميول وجدانية نحو الجنس. ويحدث فى بعض الأحيان أن تنتشر فى الفصل موجة خفية من الاستثارة أو الارتباط عند مناقشة موضوع الجنس للمرة الأولى.أما فى سن الحادية عشرة فلا يوجد لمثل هذه الحالة أدنى أثر بل إن التلاميذ يقابلون الموضوع كله بشكل طبيعى وعادى للغاية، مثله فى ذلك مثل المعلومات العادية، أى كما يقبلون المعلومات الخاصة بتركيب هيكلهم العظمى أو طريقة هضمهم للطعام. فالاهتمام الذى يبدونه نحو الموضوع هو مجرد رغبة عقلية فى الاستطلاع، ولا ريب فى أن هذا هو أصلح حالة ذهنية لتعلم هذه الأمور. فإن الناحية الوجدانية أو الانفعالية المرتبطة بالجنس فى سن العاشرة أو الحادية عشرة لا يكاد يكون لها أثر. ففى هذه السن لا يكونون قد بدأوا بعد فى الإحساس بالدوافع أو الرغبات الجنسية، كما لا يستطيعون أن يكونوا فكرة صحيحة عن ماهية تلك الدوافع أو الرغبات، ويتضح هذا مما يلقونه من أسئلة. فمعظم الأطفال يعرفون أنه يحدث فى بعض الأحوال أن يولد أطفال غير مرغوب فيهم؛ فقد يستمعون أحياناً إلى أطراف الحديث الذى يتجاذبه الراشدون الذين يتصورون ببلاهة أن «حسن لن يفهم» وأن «إحسان أصغر من أن تدرك» نعم إن هؤلاء الأطفال قد لا يفهمون فهماً تاماً، ومع ذلك ترتبط فى أذهانهم فكرة غير واضحة تمام الوضوح عما سمعوه ثم يصدر منهم فيما بعد ما يدل على ذلك،فسألون فى براءة تامة سؤالا على النحو الآتى: «إذا لم يرغب بعض الناس فى الحصول على أطفال فلماذا ينجبونهم؟» وهم يقصدون من ذلك إنه إذا لم يكن فى نية الكبار الذين يمارسون العملية الجنسية إنجاب أطفال فهم إذن فى غاية البلاهة.

فنحن نقترح لذلك أن نبدأ التربية الجنسية فى هذه المدرسة منذ السنة الأولى، وبطبيعة الحال تريدون حضراتكم أن تعرفوا شيئاً عما ننوى أن نقوم بتدريسه. نحن بالطبع سوف نلائم بين التعليم وأعمار التلاميذ. فبالنسبة للتلاميذ فى سن العاشرة والحادية عشرة لن يتعدى

ما نعطيه لهم تركيب الأجهزة الجنسية وكيف تعمل إلا قليلا. ولن نعطيهم بالطبع أية تفصيلات خاصة بما يحدث أثناء العملية الجنسية، فلن يكون ذلك مناسباً بالمرة. ولكن سنكتفى فقط بالاصطلاحات العلمية للأعضاء الجنسية، فإن هذا فى اعتقادى بالغ الأهمية، لأنه يساعد الأطفال مساعدة كبيرة فى تزويدهم بالكلمات التى تمكنهم من مناقشة الأمور الجنسية، دون حاجة إلى استخدام الألفاظ المبتذلة التى ربما كانت صالحة للاستعمال فى الأحاديث المهذبة منذ بضع سنوات ولكنها بمضى القرون قد انحدرت فى المعيار الاجتماعى وأصبحت مرتبطة بأماكن الفساد. كما نعطيهم أيضاً الحقائق المجردة الخاصة بانتقال الحيوانات المنوية من الرجل إلى المرأة، وعن نمو الطفل داخل الأم. وسوف يكون الموضع كله عبارة عن جزء من برنامج متكامل فى علم الأحياء، وبذا فلن يبرز الموضوع الجنسى بشكل خاص. وبعد ذلك سوف نعطيهم فكرة عن التغيرات التى يتوقعون حدوثها فى أنفسهم فى خلال السنة أو السنتين التاليتين، وهكذا سوف تتهيأ الفتيات لاستقبال الحيض، ولن ينزعج الأولاد عند حدوث القذف المنوى الليلى لأول مرة.

أما فيما يختص بالتلاميذ الذين يكبرون قليلا عما سبق، أى الذين يكونون فى سن الثالثة عشرة، فإننا سوف نعرض لنفس الموضوعات السابقة، ولكننا سنضيف أمام هؤلاء بعض الحقائق عن عادة الاستمناء التى يطلق عليها العادة السرية، والتى كثيراً ما تكون مصدراً كبيراً للاضطراب والقلق.

أما فيما يختص بالفرق العليا أى حيث يبلغ سن التلاميذ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وما فوقها، فإننا إنما نتعامل مع تلاميذ أقرب ما يكونون إلى الراشدين، وبطبيعة الحال سوف نخوض معهم فى تفصيلات أدق وأوفى، وهم فى حاجة إلى أن يعرفوا شيئاً عن الزواج والرابطة الزوجية وعن العلاقات بين الشبان والشابات، كما نعتقد أيضاً بأنهم فى حاجة إلى معرفة شىء عن الأمراض التناسلية. وغنى عن البيان أن أولئك التلاميذ بعد أن يتخرجوا ويتركوا المدرسة وتتقدم بهم السن سوف يناقشون هذه الموضوعات أيضاً.

الآن، وضعت أوراقى مكشوفة على المائدة، وذكرت لكم ما ينبغى الأخذ به فى المدرسة فلم يبق إلا أن يقرر كل من حضراتكم بذاته إلى أى مدى سوف يقبل على المساهمة معنا فى هذا السبيل.

الملحق الثانى

خطة عملية مقترحة للتربية الجنسية(*)

فى هذا الباب محاولة لعرض جدول يلخص العوامل المتعلقة بالتربية الجنسية. وبرغم أن هذه المحاولة عرضة للنقد، إذ من الواضح أنه يستحيل أن تركز مثل هذه المسألة المعقدة على هذا النحو، فإن مزايا تصميم الهيكل العام للتربية الجنسية لا يمكن إغفالها وإن كانت إضافة اللحم والدم إليه ضرورية لتكسبه الحياة.

وربما كان من اللازم ذكر كلمة «مقترحة» أو تقريبية عن تقسيم حياة الفرد إلى مراحل. إذ أن من الحقائق الأولية أن الحياة تتسم بالتواصل والاستمرار مما يجعل مثل هذا التقسيم مضللا إلى حد ما. ولكن بالرغم من أن النمو الفسيولوجى والسيكلوجى يتصفان فعلا بالاستمرار إلا أن سرعتهما غير منتظمة. فهناك فترات نضج بطىء وأخرى ينشط فيها النمو ويسرع، كما أن هناك فترات أخرى، مثل الفترة التى يزداد فيها نشاط إفرازات الغدد الصماء عند المراهقة، تمثل ثورة صغرى داخل نطاق النمو التدريجى العام.

وبالإضافة إلى ما سبق فليس البشر مجرد كائنات حية، بل إننا كائنات اجتماعية بدرجة كبيرة؛ وهذه الحقيقة تؤدى إلى تقسيم واضح المعالم لمراحل الحياة. فلا ريب أن الانتقال من البيت إلى المدرسة، ومن المدرسة إلى ميدان العمل، ثم الدخول فى الحياة الزوجية وما يعقبها من مرحلة الأبوة كلها حوادث لها من الأهمية فى اعتبارنا ما للنمو المستمر للفرد، ذلك لأن هدفنا هنا ليس مجرد رسم نظام صحيح لمراحل نمو الكائن الحى، وإنما هو وضع أساس عملى للتربية الجنسية. ولسنا ندعى أية دلالة للمراحل التى سوف نذكرها فى غير الغرض الموضوعة من أجله هنا. كما أنه ليس من المتوقع أن يكون لخطة موضوعة فى صورة جدول، كهذه الخطة، أى اعتبار أكثر من ابتغاء الإرشاد والتوجيه، وعلى كل مربٍ بعد ذلك أن يقرر لنفسه مدى ما يأخذه منها.

ونود أن نلفت النظر إلى أننا، بالجدول الآتى، فى الخانة التى عنوانها «المربون» قد حاولنا أن نوضح اختلاف أثر كل من الآباء والمدرسين والأطباء ومن إليهم بتغيير ترتيبهم وفق أثر كل فئة فى المراحل المختلفة، هذا إلى أننا لم نذكر رجال الدين – رغم أهمية تأثيرهم – لأن مدى هذا التأثير يختلف باختلاف عمق العقيدة ومدى سيطرتها على الجماعات والأفراد.

ومهما يكن من أمر فليس ما يحتويه هذا الجدول سوى محاولة لوضع الأسس التى قد يقبلها الجميع. وهى مقترحات قد يود بعض المتخصصين أن يتناولوها بالتعديل أو بالإضافة على ضوء ما لديهم من العلم والخبرة.

(*) يرجع الكثير من الفضل فى وضع هذه الخطة للسيدة ف. م . بيبى بحيث يمكن أن تعتبر شريكة فى تأليفها.

جدول

للخطة المقترحة للتربية الجنسية

obeikandl.com

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجي	النفسي	الاجتماعي
الميلاد الرضيع حوالى ٩	- نمو جثمانى سريع يصحبه نمو هائل فى الجهاز العصبى. - اعتماد على الأم يكاد يكون تاماً - حالة استلقاء على الظهر والوجه إلى أعلى مما يمنح أى أتساع لمعرفة العالم الخارجي. - استجابة غريزية للمؤثرات الخارجية والداخلية	- الاهتمام الجنسى مركز أكبر تركيز فى الفم مما يؤدى إلى مص الأصابع. - الحركة والنشاط، عادة مصحوبة بإحساسات اللذة. - حاجة إلى الشعور بالأمن.	- لم يميز بعد بين ذاته وبين العالم المحيط به. - اهتمامه مقصور على نفسه، ولكن دون وعى بذلك.
شهور الطفل بين عامه الأول والثانى	- ما زال النمو الجثمانى ونمو الجهاز العصبى سريعاً. - التسنين (ظهور الأسنان) - استكمال الفطام. - جلوس، وقوف، ثم حبو ومشى، مما يؤدى إلى اتساع أفق المعرفة بالعالم المحيط - ميل إلى استطلاع الجسم بواسطة الأيدى والأصابع مع الكثير من الجذب والنقر، مما يؤدى أخيراً إلى العثور على الأعضاء الجنسية. - اكتساب القدرة على التحكم فى حركة المثانة (التبول) والمستقيم (التبرز).	- الاهتمام (الميل) الجنسى مركز فى الغالب حول الفم والشرج وكثيراً ما يؤدى إلى اللعب فى البراز. - البحث عن بديل حسى للثدى مما يؤدى إلى مص الأصابع أو القرى (العبث بأعضاء التناسل وما إليها) - نشأة كثير من أشكال السلوك التى تكون فى غالب الأحيان ذات طابع غرضى. - نمو انفعالات الخوف والمحبة والغيرة والقلق. - ظهور الاهتمام بالكلمات. - بداية إدراك معنى الأمر والنهى.	- يكتسب معرفة بالعالم الخارجي. - يبدأ فى نهاية هذه المرحلة فى إدراك موقفه من أسرته كعضو فيها.

المربون	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الأم المرضعة الأب الإخوة		– التعود على رضاعة الثدى – انتظام الوظائف العضوية بما فى ذلك الإخراج	– يراعى المربى فى تصرفاته ما يشعر الطفل بأن حركات المثانة والمستقيم ليست قذرة ولا وسخة بحال ما. – الأجهزة الجنسية ليست مناطق محرمة.
الأم المربية الأب الإخوة	– فى نهاية المرحلة يبدأ فى معرفة أجزاء الجسم.	– ازدياد التحكم فى حركات المثانة والمستقيم. – شغل اليدين بأشياء أخرى مما يؤدى إلى تجنب التمادى فى مص الأصابع أو التسرى.	– النظر إلى الجسم ووظائفه نظرة طبيعية وعادية تماماً. – تكوين صداقة مع أفراد الأسرة الآخرين.

obeikandl.com

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجي	النفسى	الاجتماعى
حوالى سنتين	- النمو الجثمانى أبطأ وأميل إلى الثبات وأما الجهاز العصبى فلا يزال آخذاً فى نمو كبير. - اكتساب السهولة فى المشى والجرى مما يؤدى إلى اتساع أفق المعرفة بالعالم وزيادة الثقة بالنفس. - استكمال التحكم فى حركات المثانة والمستقيم. - نمو هائل فى التعبير اللفظى (الذى كان محدوداً من قبل نتيجة لعدم اكتمال الضبط والانسجام بين الأعصاب والعضلات).	- الاهتمام الجنسى يصبح مركزاً فى الجهاز التناسلى للذكر. - الاستمتاع بالنشاط العضلى. - زيادة الشعور بالذات مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى محاولة الظهور - ميل كبير للمحاكاة. - نشأة انفعالات الكبرياء والخجل. - الحاجة إلى تعبير الوالدين لرضاهم. - ظهور الشعور بالزمن. - نمو القدرة على التذكر. - تقدم كبير فى الفهم اللغوى. - بداية الفهم المنطقى (الرغبة فى معرفة «لماذا»؟) والقدرة على تقدير الاستنتاج ومن ثم القيام بمساومات فيما يتعلق بالسلوك. - الميل إلى معارضة التعليمات المتزمتة التى تتصل بعادات الإخراج. - زيادة اهتمام الطفل بجسمه وأجسام غيره مما يؤدى إلى كثرة الأسئلة عن الأعضاء التناسلية والولادة.. إلخ. - يصبح قادراً على استمرار التركيز وبذل الجهد إلى حد ما.	- يكون صداقة مع غيره من الأطفال (ويكون ذلك أحياناً فى مدرسة الحضانة). - يكتسب شيئاً من الانسجام مع العرف والتقاليد المنزلية المتبعة. - يعبر تعبيرا تلقائياً عن مشاعر الميل والمحبة. - ينشأ لديه اتجاه نحو حماية الإخوة الصغار. - يبدأ فى اللعب التمثيلى والخيالى.
الدارج			
حوالى ٥ سنوات			

المربون	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الأم الأب مدرسات مدرسة الحضانة الإخوة وزملاء اللعب	– معرفة أسماء أجزاء الجسم بما فى ذلك الأعضاء التناسلية الخارجية لكل من الجنسين. – مبادئ فهم وظائف الجسم. – ينمو الطفل فى الرحم داخل جسم الأم. يولد الطفل من فتحة بين الرجلين. – فهم بسيط لتركيب الأسرة، وواجب كل فرد من أفرادها. – معرفة بوجود الذكور والإناث بين الحيوانات الأليفة، ونمو الصغار فى داخل الأم فى الثدييات.	– استكمال ضبط وتنظيم حركة المثانة والمستقيم. – النوم على انفراد ومغادرة الفراش سريعاً عند اليقظة. – ممارسة القواعد الصحية البسيطة. – الصراحة فيما يختص بالجسم فى حدود الأسرة مع بعض التحفظ فى المجتمع العام. – استخدام بعض المصطلحات العلمية للأعضاء الجنسية. – قدر معقول من الطاعة. – التدرب على ضبط النفس بدرجة مناسبة. – المساهمة فى بعض الواجبات والأعمال المنزلية. – بذل المجهود للقيام بما يوكل إليه على وجه موفق. – ملاحظة الطبيعة ملاحظة تتميز بحسن النظر والعمل على الفهم.	– العرى ليس شيئاً قبيحاً بحال ما ولكنه لا يناسب كل الظروف. – الحمل والولادة أمران طبيعيان وسليمان تماماً – ولادة طفل جديد حادث عائلى يستعد له الجميع. – الترحيب بالاشتراك مع الغير فى بعض الممتلكات وبالتعاون فى أوجه النشاط. – اعتبار الانسجام العائلى الهدف الذى ننشده. – الثقة فى القدرة على إحراز النجاح. – الاهتمام بالطبيعة مع روح الإعجاب بمظاهرها.

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجي	النفسي	الاجتماعي
حوالى ٥ سنين أول عهد المدرسة حوالى ٨ سنوات ما قبل المراهقة حوالى ١١ – ١٢ سنة	– مازال النمو الجثمانى أميل إلى البطء – تحسن فى التوافق البصرى – طاقة جثمانية هائلة، يعبر عنها غالباً بالرغبة فى التجوال والاستكشاف. – مازال النمو الجثمانى أميل للبطء. – تقدم فى ضبط وانسجام الوظائف الحركية مما يؤدى إلى زيادة الميل إلى المغامرات البدنية.	– يصبح الاهتمام بالناحية الجنسية كامناً إلى حد بعيد، ويتجه إلى نفس الجنس. – رغبة فى الاستطلاع موجهة نحو جميع الأشياء. – حاجة إلى الإنتاج، يعبر عنها بعمل أشياء كثيرة، غالباً لا تتم بأية عناية. – الميل إلى التملك – أكثر الاهتمام الجنسى كامن أو موجه نحو نفس الجنس. – تزداد قدرته على نقد نفسه مع التطلع إلى الكيف جنباً إلى جنب مع الكم فيما ينجز من عمل. – الاستعداد لتقبل النقد العادل من الغير. – اهتمام بالغ بالطريقة التى تسلك وتعمل بها الأشياء مما يؤدى إلى تجدد الأسئلة الخاصة بالولادة والجنس والجماع وإنما فى مستوى أرقى. – استمرار الرغبة فى التملك.	– تقدم كبير نحو النضج الاجتماعى يعزى غالباً إلى التحاق الطفل بالمدرسة. – ظهور نزعات نحو التعاون. – الدخول فى بعض الأحيان فى زمرة منظمات اجتماعية جديدة لصغار الأطفال. – الميل إلى تكوين جماعات صغيرة أو «عصابات». – التقدم فى تحمل المسئولية الاجتماعية.

المربون	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الوالدان المدرسون الإخوة وزملاء اللعب	– الأم تنتج البيضة والأب ينتج الحيوان المنوى. – يوضع القضيب فى المهبل عند الجماع. – يتم فهم الأسباب التى تقوم عليها العادات الصحية. – تعمق فى المعلومات الخاصة بالطبيعة. – إلمام بسيط بالعلاقات الاجتماعية خارج البيت.	– استمرار للعادات التى استقرت سابقاً وإنما فى مستوى أرقى. – الولاء للزملاء. – التمييز بين الأشياء التى تخص الشخص نفسه والتى تخص الغير، أى احترام الملكية.	– استمرار وتفلغل الاتجاهات العقلية التى استقرت سابقاً. – قلة الشعور بالحرج أو بالحاجة إلى التخفى والمداورة. – الإعجاب بالحيوية والقوة والأناقة. – الرغبة فى الصحة الحسنة والنظافة. – الترحيب بمشاركة الغير فى الممتلكات المشتركة.
الوالدان المدرسون الإخوة والأصدقاء ورواد منظمات الأطفال	– اكتساب المزيد من المعلومات بالتدريج فيما يختص بوظائف البدن بما فى ذلك الناحيتين الجنسية والتناسلية؛ وعند نهاية المرحلة فهم معنى الحيض وقذف المنى والانتصاب. الخ – معلومات أولية بسيطة جداً عن قواعد الوراثة. – فهم بسيط لنصيب كل من الجنسين من الخدمات التى يقدمانها للمجتمع. – معلومات مبسطة مع إدراك لوظائف الكائنات الحية، وبخاصة: الغزل، الجماع، نمو الجنين، عناية الوالدين بالأبناء وحياة الأسرة.	– استمرار العادات السابقة. – اعتبار الناحية الجنسية جزءاً عاديا من الحياة وليست أمراً شاذاً. – القيام بألوان من النشاط أكثر دقة وتنظيما.	– استمرار الاتجاهات السابقة. – العجب فيما يختص بمظاهر الحياة بما فى ذلك الناحية الجنسية. – الارتياح والرضا بالجنس الذى ينتمى إليه (وهذا له أهمية خاصة فى حالة البنات). – التطلع فى سرور إلى مرحلة المراهقة الآتية باعتبارها دليلا على الاقتراب من النضج. – عدم الرضا عن المستوى المنخفض من الإنتاج. – السرور بالنشاط الحى الدافق والاستمتاع بالتجديد والإبداع.

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجي	النفسي	الاجتماعي
حوالى ١١ - ١٢ سنة المراهق الأصغر	- مرحلة نمو جثمانى سريع لها آثارها الكبرى فى البدن - بداية التغيرات الناتجة عن الهرمونات الخاصة بالمراهقة وما يصحب ذلك من نمو للصفات الجنسية الثانوية (تظهر فى البنات قبلما تظهر فى البنين). - توالى فترات نشاط فائق وفترات خمول.	- تيقظ المشاعر الجنسية، التى تكون فى البداية مختصة بذات الجنس ثم تتجه بعد ذلك ناحية الجنس الآخر. - قد تحدث حيرة وحرج فى بعض الأحيان من جراء ظهور الصفات الجنسية الثانوية. - ميول شديدة التغير. - نوبات من تغير المزاج والاكتئاب. - ميل إلى «عبادة البطولة».	- الانتقال إلى المدرسة الثانوية مما يؤدى إلى زيادة الثقة بالنفس والشعور بالأهمية. - استمرار التكتل فى عصابات.
حوالى ١٤ - ١٦ سنة			

المربون	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الوالدان المدرسون والأصدقاء رواد مؤسسات الأطفال طبيب المدرسة (أو الحكيمة)	– دعم المعلومات المكتسبة سابقاً وتنظيمها – فهم مبسط لأثر الهرمونات في الجسم والانفعالات. – المزيد من المعلومات الصحية عن الحيض (وبخاصة للبنات). – فهم المعلومات الصحيحة الخاصة بإفراز المني والاستمناء (وبخاصة للأولاد) – المزيد من المعلومات عن الوراثة. – معلومات أولية عن الأمراض التناسلية (فيما يختص بالمرض لا بالجنس) – أفكار بسيطة عن قيمة الحياة العائلية. – فهم العلاقات الحميدة بين الفتى والفتاة.	– استمرار العادات السابقة – ممارسة الألعاب الرياضية العنيفة والهوايات الابتكارية – التعاون مع أفراد الأسرة والمنظمات الاجتماعية الأخرى. – المساهمة في الواجبات المنزلية (الأولاد والبنات على حد سواء). – زيادة العناية والاهتمام بشئون الأطفال الأحدث سناً وبالوالدين (وبخاصة الأم أثناء الحمل). – حسن اختيار الأصدقاء و «الأبطال». – حسن اختيار مواد القراءة وما إليها.	– استمرار الاتجاهات الأولى. – رعاية الجنس الآخر وتقديره. – الاعتزاز بالاقتراب من الرشد. الاشمئزاز من البذاءة. – الحيض والقذف المنوى أمران طبيعيان تماماً ولا يتصفان بالفحش أو «الوساخة». – الحماة العامة للألعاب الرياضية والهوايات.

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجي	النفسي	الاجتماعي
حوالى ١٤ – ١٦ سنة المراهق الكبير	تناقص فى معدل النمو الجثمانى العام استمرار واستكمال التغيرات التى حدثت فى بداية المراهقة (عند البنات قبل الأولاد).	– ازدياد الانفعالات الجنسية فى شدتها، وتكون عادة موجهة نحو الجنس الآخر. – ميل إلى شدة انتقاد الوالدين وجميع الراشدين والمجتمع بوجه عام. – ميل إلى العدوان وإغراق فى «رهافة الحس»، إلخ. – السعى والاطمئنان إلى الأشخاص الكبار الذين يبدون ما ينبغى من عطف وتقدير. – ظهور الميل للعمل فى سبيل الغير، وفى بعض الأحيان اتجاه دينى شديد. – وفى بعض الأحيان يظهر ميل إلى التطرف فى النواحى الفكرية. – ميل إلى النظر إلى المشكلات الخاصة على أنها فريدة لا نظير لها مما يؤدى إلى نوع من «العزلة المعنوية».	– الانتقال، فى معظم الأحوال، من المدرسة الثانوية إلى ميدان العمل (أو الجامعة) مما يؤدى إلى زيادة الشعور بالنضج والاستقلال، وإلى كثرة التعرض للمؤثرات الجنسية. – الميل إلى تناسى البيت مؤقتاً وإلى الاهتمام بمنظمات اجتماعية أخرى مثل الأندية وما إليها. – الميل إلى الانتقال من «العصابات» الوحيدة الجنس إلى جماعات مختلطة. – تغيير كثير للأصدقاء قصد الوصول إلى أفضل «وسط» اجتماعى. – الحاجة إلى التحرر الكبير من السلطة الاجتماعية للوالدين، إلخ.
حوالى ١٨ – ٢٠ سنة			

المرحلة	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الوالدان الإخوة والأصدقاء رواد الشباب والمدرسون الإخصائيون الاجتماعيون محاضرون عامون	– إدراك لقوة الدافع الجنسى ولضرورة ضبط النفس (وأن تدرك البنات سهولة استثارة الأولاد، وأن يدرك الأولاد ما قد تشعر به البنات). – إدراك أعمق لما يتضمنه الاستمناء ويدخل فى ذلك الناحية الوجدانية، والإلمام بما يساعد على التخلص من تلك العادة. – المزيد من المعلومات عن الوراثة. – تقدير للتمييز بين نضج الغدد التناسلية وبين استكمال النضج الجثمانى والوجدانى والاجتماعى وفهم بسيط للناحية الغرامية من الجنس. – فهم أخطار المبالغة فى «المداعبة» – أفكار مبسطة عن إعلاء الدافع الجنسى. – القيم الاجتماعية والخلقية للزواج والعلاقات غير الشرعية والزنا والبغاء. – مزيد من المعلومات عن الأمراض الجنسية وبخاصة طرق الوقاية وطرق العلاج إذا حم القضاء. – أولئك الذين مازالوا بالمدارس يدرسون المزيد عن النواحى البيولوجية والنفسية والاجتماعية والخلقية للجنس.	– استمرار العادات السابقة. – التعبير عن الذات والإعلاء، عن طريق الرياضة البدنية والموسيقى والتمثيل.. إلخ. وميل عقلى نحو العلوم وعلم الاجتماع والفنون.. إلخ. – مجاملة الجنس الآخر دون مبالغة فى الأفكار التى تصل لدرجة «الفروسية». – قبول زيادة المسئولية تمشياً مع زيادة الخبرات المكتسبة. – بناء العمل على أساس من تقدير دقيق لكافة العوامل المحيطة بالموضوع. – تهذيب الذات ونقدها فى كل شىء. – حسن التمييز عند اختيار الأفلام أو سماع الراديو.. إلخ.	– استمرار الاتجاهات العقلية السابقة. – الصداقة بين الولد والبنت أمر طبيعى وإنما تحتاج إلى تمعن وروية. – النظر إلى الجنس على أنه قوة خالقة جليلة الشأن. – النظر إلى المراهقة على أنها مرحلة فيها فرصة هائلة للعمل على اكتمال النضج. – النظر إلى الأصدقاء من حيث شخصياتهم بكاملها لا من حيث هم ذكور أو إناث. – احتقار الفحش والبذاءة دون تصنع أو سلف. – النفور من الجبن المعنوى والرياء والمحاباة والحيف إلخ. – مثل راقية وطموح فى كافة النواحى.

المربون	خصائص النمو		
	الفسيولوجى	النفسى	الاجتماعى
حوالى ١٨ – ٢٠ سنة الغزل	تأثير متبادل بين الأعصاب والغدد الصماء.	– ازدياد المشاعر الجنسية خصوبة وعمقا. – اندماج مشاعر الرغبة الجنسية مع المحبة والتقدير والرعاية والرفق.. إلخ. – البحث عن الشخصية التى تكمل شخصية الفرد ذاته وتشبع حاجاته العاطفية. – ميل الفرد إلى تكييف عاداته واتجاهاته العقلية، إلخ، حتى تتلاءم مع رفيق حياته. – ميل للنظر إلى الرفيق نظرة مثالية.	– الميل إلى الانفصال والتحرر من «الوسط» الذى كان يعيش فيه. – بداية التفكير فى إنشاء بيت وإعالة أسرة خاصة.

المربى	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الحبيب الوالدان الأطباء رائدو الشباب محاضرون عامون	– عناصر الحياة الزوجية (وتشمل الحاجة إلى الرقة وضبط النفس في مطالع الزواج). – فهم الخصائص الوجدانية والجنسية للجنسين بوجه عام وللرفيق بوجه خاص. – معلومات عن الصحة الجثمانية والعقلية للذات وللرفيق. – فهم أدق لضرر المبالغة في المعانقة والمداعبة دون إكمال العملية الجنسية. – إدراك أن العلاقة الجنسية لا تكون إلا جزءاً من الحياة الزوجية. – فهم الالتزامات الاقتصادية للزواج والأبوة. – إدراك معنى العائلة كوحدة اجتماعية. – كيف يدار البيت (وهذا ضروري للرجل كما للمرأة على السواء). – معرفة الأشخاص والمؤسسات والكتب التي يمكن الرجوع إليها للإستزادة من المعلومات والاسترشاد.	– استمرار العادات السابقة. تجنب المواقف التي تؤدي إلى كثير من الاستثارة الجنسية والتوتر العصبي. – تهذيب النفس في جميع النواحي بما في ذلك السلوك الجنسي. – الملاحظة الدقيقة للرفيق لمعرفة طبيعته ومزاجه الخاص. – تنمية الميول وألوان النشاط المشتركة.	– استمرار الاتجاهات العقلية السابقة. – قابلية التساهل في الرأى للوصول إلى الاتفاق بين الزوجين في أمور مثل المشاركة الاقتصادية، واشتغال الزوجة، والتقسيم السليم للواجبات المنزلية، وعدد النسل المرغوب.. إلخ.

openkanal.com

المرحلة	خصائص النمو		
	الفسيولوجى	النفسى	الاجتماعى
الزواج	– الوصول بالتدريج إلى علاقات جنسية مرضية متبادلة. – ثم يقع «تغير الحياة» (أو سن اليأس).	– تزايد الانسجام الوجدانى بين الزوجين. – نمو الحب والتقدير والاحترام المتبادل. – فهم الشريك الآخر فهماً واقعياً وأنه شخص له أخطاؤه وعيوبه وليس مثلا كاملا، ويتبع هذا إدراك أن هذه الحقيقة ينبغى ألا تعترض الرضا بالحياة الزوجية. – صعوبات تنشأ عن «تغير الحياة» (سن اليأس)	– الاهتمام بشئون البيت تطغى على الاهتمام بالشئون الخارجية مثل الأندية وما إليها – تقييد للنشاط الاجتماعى فى أغلب الأحيان، ويكون مرجع ذلك – جزئياً – إلى القيود المادية.
الوالدية	– تغيرات هرمونية (أى بتأثير الهرمونات التى تفرزها الغدد) نتيجة الحمل والولادة وإدرار اللبن للرضاعة.	– أمومة غريزية قوية فى العادة ونمو تدريجى للمشاعر الوالدية.	– اكتمال وحدة العائلة. – قيود تحدد النشاط الاجتماعى عادة مادام الأطفال صغاراً. – فى بعض الأحيان تظهر نزعة خطيرة للسيطرة العاطفية على الأبناء.

المربى	التربية المناسبة		
	المعلومات	العادات	الاتجاهات العقلية
الرفيق (زوج أو زوجة) الأطباء المحاضرون	– زيادة فهم طرق الاتصال الجنسى وبخاصة الوسائل التى تؤدى إلى أكبر قدر من الانسجام. – إدراك أن السعادة الجنسية الكاملة تحتاج، فى العادة، إلى بعض الوقت ليتم تحقيقها. – فهم التغيرات فى الإحساسات الجنسية (كما فى حالة الحيض والحمل والإرضاع وسن اليأس). – تعلم خصائص ومهام الأبوة والأمومة. – فهم مبسط لسيكلوجية الطفل.	– الإدراك السريع لأى ضيق وجدانى يعترى الزوج مع زيادة فى العطف والرقة. – الصراحة فيما يختص باختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بشئون البيت والتسامح فى الاختلافات. – تدعيم الميول المشتركة والاشتراك فى شغل وقت الفراغ. – إدراك الزوج أن الزوجة – فى الواقع – تضحى أكثر منه فيما يتعلق باستقلالها.	– تقدير ظروف الرفيق (الزوج أو الزوجة) من كافة الوجوه وعلى الأخص عدم الضغط فى الناحية الجنسية. – اعتبار الرفيق (الزوج أو الزوجة) على أنه مازال حبيباً. – الاستعداد للصفح والنسيان. – الاستعداد للسماح للرفيق بالقيام بنشاط مستقل فى النواحى العقلية والثقافية والاجتماعية. – العزم على ألا يكون للتغيرات التى تطرأ فى الحياة الزوجية (مثل الوالدية أو سن اليأس) أثر فى كمال وهناءة الحياة.
الرفيق الأبناء دور رعاية الطفل والأطباء مدرسو الأطفال محاضرون عامون	– المزيد من تعلم خصائص ومهام الأمومة والأبوة. – زيادة المعلومات الخاصة بنفسية الطفل ونموه، وبخاصة فى مرحلتى الطفولة والمراهقة. – فهم الأهداف والوسائل والإمكانيات المتعلقة بالتربية الجنسية. – القدر المناسب من المعلومات التى تعطى للطفل فى مراحل نموه المختلفة. – أنواع الأسئلة المتوقع صدورها من الطفل وكيفية الإجابة عنها. – معلومات عما يعمل فى المدارس وأندية الشباب.. إلخ.	– الزوج يساهم مساهمة فعالة فى الواجبات الإضافية الناشئة عن إنجاب الأطفال. – تكييف السلطة الوالدية بحيث تلائم الطفل فى مراحل نموه المختلفة. – الأمانة مع الطفل فى كل شىء. – الاتفاق والانسجام بين الزوجين فى تنشئة الطفل.	– تقدير الزوج لظروف زوجته بمناسبة تزايد مسئولياتها. – الترحيب بتهيئة الفرص للأطفال كى يتعودوا الاستقلال عن الوالدين. – الصداقة مع الأطفال والحنان نحوهم دون إثقال كواهلهم بالعاطفة أو تدليلهم وإفسادهم. – الاستعداد للتطور مع الزمن حتى إذا كان فى هذا ما يحنق العجائز.

الملحق الثالث

اقتراحات للنشاط العملى

وجد المؤلف أنه يحسن أن يجمع هنا اقتراحات شتى للنشاط العملى الذى قد يعين فى تنمية الفهم الصحيح والاتجاه العقلى السليم نحو الجنس والحياة العائلية. وذكر أن بعض هذه الاقتراحات قد تتناسب تماماً مع سن معينة أو جنس معين أو مكان معين. ولكنه قال إنه يسوقها هنا من غير تخصيص، إذ يتوقف على المربى ذاته، وما يعرفه عن الأفراد الذين يتعهدهم بتربيته، أن يختار منها ما يناسب.

١ – تربية الحيوانات والعناية بها

أقصد ما يناسب من الحيوانات على اختلاف أنواعها من مائية وبرمائية وزواحف وبخاصة تلك التى يمكن أن يحتفظ بها بسهولة مثل: السمك، والقواقع، والضفادع، السحالى، والرول (الأبراص). كما يمكن تتبع الحشرات منذ خروجها من البيض مثل (أبو دقيق والفراش)، أو تتبع دورة حياتها كاملة مثل: (الذباب المنزلى، دودة القز أو نحل العسل، الصرصور. إلخ)، وكذلك يمكن فى بعض الأحيان تربية الطيور مثل: (الحمام والدجاجة المنزلية)، ويجب أيضاً تربية الثدييات: مثل الفيران، «خنازير غينيا» (الفيران البيضاء)، والأرانب.

٢ – فحص «العينات» الميكرسكوبية

ويمكن تحضير هذه العينات عندما تدعو الحاجة إليها كما يمكن الحصول عليها مجهزة، وهذه يمكن فحصها فحصاً فردياً بالميكرسكوب، كما يمكن توضيحها لعدد كبير بواسطة المكبر الضوئى. ومن التحضيرات المناسبة لهذا الغرض ما يلى: مقاطع فى المبيض، والخصية، والحبل السرى، والبيضة، والحيوان المنوى، وكذا الإخصاب، ومراحل انقسام الأميبا، والخميرة، والبيضة الملقحة (مثل نجمة البحر)؛ والنواة، والكروموسومات.

٣ – تشريح الحيوانات بما فى ذلك الثدييات

أما التشريح فينفر منه بعض الأطفال ولذا ينبغى ألا يرغموا عليه. ولا يجوز أن يستخدم لهذا الغرض تلك الحيوانات التى نربيها فى البيوت مثل الكلاب والقطط. ومن الحيوانات المناسبة نذكر الأرانب والفئران، وما إلى ذلك – ولكن يحسن عدم استخدام نفس الحيوانات التى قام الأطفال أنفسهم بتربيتها. وعلى كل حال ينبغى أن نوضح لهم فى جلاء أن الموت الذى أنزل بالحيوان لم يصحبه ألم ما. وكثيراً ما يكون لتشريح الأنثى الحبلى فائدة كبيرة.

٤ – فحص الأجنة

كما يمكن عرض نماذج الأجنة الموجودة بالمتاحف بما فى ذلك جنين إنسانى (بعد شهره الثالث). فالجنين الإنسانى فى العادة مصدر لكثير من الغبطة الحقيقية للأطفال – فيقولون فى إعجاب: «إنه رائع حقاً. أليس كذلك؟» ويمكن فى بعض الأحيان تتبع نمو البيضة وأطوار الجنين، كما فى حالة السمك والضفدع والدجاج.

٥ – النشاط اليدوى

ويشمل ذلك عمل نماذج تمثل انقسام البيض والأجنة فى مراحل مختلفة من النمو إلخ.

كما يمكن أيضاً عمل النماذج سواء من الورق المقوى أو الخشب لتمثل محتويات حجرة الطفل أو الحضانة ومحتويات العيادة الطبية إلخ. ومن ذلك أيضاً صنع ملابس الطفل وإلباسها للتماثيل أو العرائس، وكذا إعداد لوازم «الطفل الجديد» – ويشمل الحياكة والتطريز؛ وتزيين المهد الصغير أو فراش الطفل. وتنظيم حجرة نوم الأم أو الطفل، ومساعدة الأم فى بعض الأعمال البسيطة الأخرى. أما بعد الولادة فيمكن صغار التلاميذ المساهمة فى أعمال أخرى مثل إعداد الحمام للطفل ونشر لفائفه للتجفيف، وعندما يتقدم سن الطفل يمكن المساهمة فى عملية استحمامه، ودفع عربته إلى غير ذلك من أوجه النشاط المماثل.

٦ – الملاحظات العددية والتجارب

من ذلك ملاحظة عدد الزهيرات فى بعض النورات، وعدد البذور فى عباد الشمس، وعدد البيض فى كتلة من بيض الضفادع، وعدد الحيوانات المنوية التى توجد فى مجال البصر تحت الميكرسكوب، وعدد الصغار التى تلدها مختلف الحيوانات؛ والقيام ببعض تجارب الوراثة البسيطة على نبات البازلاء أو زهرة الربيع (البريمروز) فى الحديقة أو على ذبابة الفاكهة أو الفأر أو خنزير غينيا (الفأر الأبيض)، كما يمكن تدوين بعض الملاحظات الإحصائية المناسبة للوراثة، وذلك عن طريق قذف قطع النقود والتقاط كميات مختلفة من الخرز الملون من صناديقها، ولعب الورق، كما يشمل ذلك كتابة تقارير تبين النمو فى الوزن وفى الطول إلخ.

٧ – الرحلات العلمية والزيارات

مثال ذلك القيام بزيارة المتاحف والحدائق النباتية والحيوانية، والحقول، ومعامل توليد الأسماك، ومعامل التفريخ الصناعى، وتربية الحيوان، ومراكز رعاية الطفولة، والعيادات، ومدارس الحضانة، والمستشفيات إلخ. وينبغى أن تكون المجموعات صغيرة العدد حتى يتسنى للأطفال الحصول على أكبر فائدة ممكنة، مع عدم إحداث المضايقات فى أماكن الزيارة وللقائمين بها. ومثل هذه الرحلات والزيارات لا يقف أمرها عند هذا الحد، ولا ينتهى أمرها

بانتهائها، بل يجب متابعة النشاط عن طريق عمل سجلات فردية لكل تلميذ، أو جماعية يشترك فيها التلاميذ جميعاً، مع دراسة الكتب المناسبة وعمل التقارير الوافية والرسوم والخرائط.

٨ – المشروعات الفردية والجماعية

ومجال هذه المشروعات متشعب متعدد وتشمل جمع قصاصات الجرائد الخاصة بولادة التوائم، وحالات تعدد الأزواج، وحالات الطلاق؛ كما تتضمن القصاصات نسبة المواليد، ونسبة وفيات الأطفال، وإحصاء السكان واتجاهه سواء إلى الزيادة أو النقصان، وافتتاح دور رعاية الطفل، والمراكز الاجتماعية، والمستوصفات ودور الحضانة، وتشمل هذه المشروعات أيضاً جمع مثل هذه المعلومات وغيرها من الآباء والأمهات والمدرسين ورواد الشباب والأطباء والحكيمات والممرضات والإخصائيين الاجتماعيين، ومن المؤسسات الحكومية أو الأهلية التى تعمل فى هذه الميادين.

وبفضل هذه البيانات يمكن التلاميذ أن يقوموا بعمل كتيبات بأقلامهم يحلونها بالصور التى يلصقونها فيها والرسوم التوضيحية إلخ، كما يمكنهم عمل الخرائط والرسوم الإحصائية والنماذج إلخ. ولهم أن يضمنوا نشاطهم التفكير فى وضع المقترحات المتعلقة بأوجه الإصلاح المنشود فى هذه الميادين.

٩ – المناقشات والمناظرات

هذه تشمل موضوع التعليم المختلط، والمقارنة بين المدارس الداخلية والمدارس الخارجية، وهل يتعلم الأولاد الطهى؟ وهل من الواجب أن يساهم الأطفال فى الأعمال المنزلية؟ وكذا موضوعات الوراثة والبيئة، وهل يجب أن تعمل المرأة؟ والعفة فيما قبل الزواج، والزواج، والطلاق، ومسئولية الأسرة، وهل يجب أن تَستخدم الأم مرضعة؟ وهل يجب أن يعاون الأب فى العناية بالطفل؟ والفحص الطبى قبل الزواج، وضرورة الإعلان عن حالات الأمراض التناسلية وعلاجها إلخ. وينبغى الانتباه لأخبار الجرائد والإذاعة لتتبع مواضيع الساعة المتعلقة بهذه الأمور.

١٠ – الأفلام السينمائية

توجد أفلام بيولوجية ممتازة تبين دورات الحياة عند كثير من الحيوانات والنباتات. ومن الأفلام المفيدة فى هذا الشأن أيضاً ما يعرض خاصاً بنمو الطفل، والخدمات التربوية والطبية، وأساليب حياة الناس فى بقاع العالم الأخرى المختلفة. ويمكن أن تستغل الأفلام التى تعرض فى دور السينما المحلية لعقد الحلقات لمناقشة موضوعات الاتجاهات النفسية نحو الجنس والزواج وحياة الأسرة، إلى غير ذلك من الموضوعات المشابهة.

الملحق الرابع

أمثلة من النشرات الخاصة بالتربية الجنسية

كثيراً ما يعترضنا السؤال التالى: أليس من واجب المدرسة إخطار الوالدين عن طريق نشرات خاصة بنظام التربية الجنسية التى تنوى أخذ أطفالهم به؟ ومع أن البت فى هذا الموضوع هو بطبيعة الحال من اختصاص كل مدرسة على حدة، إلا أن اتخاذ قرار بشأنه يتطلب مراعاة عدة اعتبارات.

وأول هذه الاعتبارات هو أنه ينبغى ألا يتخذ أى إجراء يحمل معنى أن التربية الجنسية قد تتضمن «مغامرة» بأى حال من الأحوال أو أن المسئولين يخامرهم أى شك فى جدواها. وثانيها هو أن إرسال النشرة فى حد ذاته عمل قد يحمل فى طياته ما يوحى التلاميذ بأن التربية الجنسية منعزلة من ناحية ما، وأنها مادة لها وضع خاص، فليس من عادة المدارس إرسال مثل تلك النشرات إلى أولياء الأمور فيما يتعلق بأسلوب المدرسة واتجاهاتها فى سائر المواد الأخرى.

والاعتبار الثالث هو أنه ربما كان من الجائز فى بعض الأحيان بالنسبة لظروف محلية أن يسمح للآباء بمنع أطفالهم من الإفادة من التربية الجنسية إذا كانوا راغبين عنها، إلا أنه يجب كتابة تلك النشرات بأسلوب أبعد ما يكون عن حضهم على هذا الاتجاه. وقد عالج أحد المدرسين مسألة الرغبة فى الحصول على موافقة الآباء على التربية الجنسية فى المدرسة بجلاء ووضوح حيث كتب يقول: «يعن للمسئولين ذلك السؤال المربك – هل نطلب من الوالدين إذناً قبل البدء فى إعطاء التلاميذ منهجاً فى موضوع التناسل؟» وإنى أجيب عن هذا بالنفى لعدة أسباب:

أولا: لأنى أعتقد أن هذا الاستئذان غير ضرورى، فقد تبينت أن الآباء بوجه عام يشعرون بمزيد من الارتياح لهذا الإجراء، حيث يشعرون بأن المدرسة تتحمل عنهم عبء ذلك العمل. ولا ريب فى أن كثيراً من الأمهات يدركن افتقارهن إلى المعرفة فى هذا الميدان، والغالبية منهن ينفرن من التعرض له على أى وجه من الوجوه. وقد أخبرتنى إحداهن أنها قضت الليل طوال الأسابيع الثلاثة الماضية قلقة لم يغمض لها جفن، مسهدة تستبد بها الحيرة والهم، لا تدرى ماذا ينبغى عليها أن تقوله فى هذا الشأن. كما أن كثيراً من الأطفال أيضاً يفصحون عن نفس ذلك المعنى فيقولون كلاماً شبيهاً بما قالته طفلة صغيرة: «أخبرت والدتى بأنى أعرف عن ذلك الموضوع وقد سرت لذلك كثيراً، وأخبرتنى بأن ذلك قد أزاح عن كاهلها عبئاً ثقيلاً». كما أنى فى خلال السنوات التى قضيتها فى خدمة التربية الجنسية لم أسمع أية شكوى من تلك الدروس. ولكنى على العكس من ذلك تلقيت الكثير من عبارات التقدير والعرفان. والسبب

الثانى: ضد استئذان الآباء: هو أن إجراء كهذا يجعل لذلك الموضوع وضعاً خاصاً، وينبغى تجنب هذا بكل ثمن.

وثالثا: أنه إذا ما جاءت بعض الإجابات بالنفى، فإنه تنشأ عن ذلك عدة أسئلة واستفهامات: (أ) ماذا يكون العمل مع الطفل الذى لن يحضر ذلك المنهج؟ (ب) وماذا عسى بقية الفصل أن يظن نتيجة عدم اشتراك بعض زملائهم؟ وهل تسمح لكل ما أعدت من خطط بالتصدع والانهيار، إذ يعتقد التلاميذ نتيجة لذلك أنهم بإزاء موضوع غريب وسرى؟ (جـ) ثم إن الطفل الذى يعزل عن زملائه سوف يحصل من بقية تلاميذ الفصل على المعلومات التى يحرم منها، وهو بذلك سيحصل عليها عن طريق غير مباشر، وقد تصل إليه محرفة ومن المؤكد قطعاً أنه سيحصل عليها فى غير الجو الصالح لذلك. ولسوف يزداد عنده الشعور بالخطيئة. كما أن علاقته بوالديه سوف يشوبها شىء من التصدع نتيجة لذلك. (د) ثم إن الإجابة بالنفى إنما توحى بأن الجو النفسى الذى يحيا فيه الطفل فعلا هو جو غير سهل، وإذا كان الحل كذلك أصبحت المدرسة بالنسبة له هى الأمل الوحيد. وإذا ما قال الوالدان بأنهما يرغبان فى أن يخبرا طفلهما عن ذلك بنفسيهما فإن هذا إنما يعنى أنهما قد تأخرا فعلا فى هذا، ذلك أن الخطوات الأولى ينبغى أن تتم فى المنزل فى مرحلة الطفولة الأولى. فإذا ترك الأمر حتى مرحلة المراهقة فإنه يكون قد نشأ بين الطفل ووالديه حاجز لا يمكن تخطيه، وفى هذه الحالة أيضاً تكون المدرسة هى الأمل المرتجى بالنسبة لذلك التلميذ، وعلى ذلك فلو فرض أن وجد داع لإرسال تلك النشرات فينبغى ألا تهدف إلى طلب الإذن من الوالدين قدر ما تهدف إلى إخبارهم بما تفعله المدرسة فى هذا الشأن، وأن تطلب منهم مؤازرتها – هذا ما لم تقض ضرورة الظروف المحلية بحرية القبول أو الرفض من جانب الوالدين.

من المستحيل أن نضع نموذجاً لهذه النشرات يصلح لكافة الظروف والمناسبات، ولكننا فى هذا الملحق نورد بعض نبذ من كثير من النشرات التى أرسلت بالفعل فى مناسبات شتى وقد راعينا فى كل حالة أن تكون لها بعض الميزات الهامة. ولا يعنى اقتباس هذه النبذ أن المؤلف يوافق على كل ما جاء فيها. وغاية ما فى الأمر أن النبذ تفيد فى الإرشاد إلى كيفية وضع النشرة التى تكون أنسب ما يمكن فى الظروف المحلية للمدرسة، وذلك إذا ما دعت الضرورة إلى إرسال نشرات من هذا القبيل.

النشرة رقم (أ)

أرسلها ناظر إحدى المدارس الثانوية الإنجليزية المختلطة إلى آباء التلاميذ قبيل بدء موضوع التناسل فى الإنسان فى منهج علم الأحياء.

لقد زود بعض الآباء أطفالهم بالمعلومات الكافية فى موضوع الجنس قصد إشباع رغبتهم الطبيعية فى الاستطلاع، تلك الرغبة التى تظهر كلما اضطرد نموهم. ولكن البعض الآخر فضل عدم إعطاء أطفالهم أى معلومات فى هذا الشأن، هذا إلى أن المعلومات التى أعطيت لبعض التلاميذ تبدو غير مناسبة لإشباع رغبتهم فى الاستطلاع. وكثيراً ما يحدث – وخاصة فى حالة الأولاد – أن يحصلوا على تلك المعلومات من زملاء اللعب بطريقة معوجة غير صحيحة.
أما أنا فإن الرأى الذى انتهيت إليه فى هذا الشأن هو أن أنسب وقد لتنوير الصبيان والبنات فى موضوع الجنس هو قبل أن يشرفوا على مرحلة المراهقة، وأن أفضل طريقة طبيعية لتوصيل تلك المعلومات إليهم هى أن تكون فى أثناء درسهم علم الأحياء حيث تبدأ بمجموعة من الحيوان والنبات وتنتهى بالإنسان. وعلى هذا المنوال نعالج جميع الوظائف الرئيسية للكائن الحى بما فى ذلك التناسل، وإن الانتقال من فكرة الحيوانات الدنيا إلى الإنسان هو أمر سهل نسبياً ولكنه مع ذلك لا يمكن للمرء أن يدركه بغير توجيه خاص. وإن الفرقة التى فيها نجلكم (أو كريمتكم) الآن قد وصلت فى دراسة علم الأحياء إلى المرحلة التى يمكن أن يعطى للتلاميذ فيها موضوع العلاقات الجنسية عند الإنسان، وإننا إذ نرسل إليكم هذه النشرة فإنما نود أن نعلم ما إذا كنت توافقون على إعطائهم هذه المعلومات الجنسية، وما إذا كنتم ترغبون فى مساهمة نجلكم (أو كريمتكم).. إلخ

(وقد أعقب ذلك اقتراح للطريقة التى تتبع. وفى الختام بطاقة للرد يملؤها الوالد ويفصلها ويرسلها إلى المدرسة).

النشرة رقم (ب)

أرسلها ناظر إحدى المدارس الثانوية للبنين إلى آباء التلاميذ مباشرة بعد الوصول إلى موضوع التناسل فى الإنسان فى مادة علم الأحياء.

فى أثناء العام الدراسة الحالى كان تلاميذ الفرق (كذا – وكذا) يدرسون علم الأحياء مع (الأستاذ.. والأستاذ..) وقد قضوا فترة من الوقت فى دراسة جسم الإنسان، وأعضائه ووظائفها والدروس الأخيرة تختص بالتناسل فى الزهور والحيوانات والجنس البشرى.

فعند سن الحادية عشر أو الثانية عشر تقريباً يظهر عند الأولاد اهتمام طبيعى بأجسامهم وبمنشئهم. وإنه لمن الأهمية بمكان ألا يستحيل هذا إلى أمر سرى سقيم. كما ينبغى ألا يناله التحريف أو أن يتعرض لسوء التوجيه عن طريق المعلومات الفاسدة التى تنتقل من صبية من نفس السن يجهلون الحقائق على صحتها، أو على أحسن حال يعرفونها معرفة ناقصة.

إن التناسل فى الإنسان هو الخاتمة الطبيعية لمنهج علم الأحياء. فيمكن أن تعرض على التلاميذ الحقائق واضحة بغير تشويش أو حيرة، لأن الموضوع كله إنما هو امتداد طبيعى لما سبق أن درسوه.

وإنى أبعث طى هذا بملخص للدرس الذى أعطى للفصل الذى ينتمى إليه نجلكم منذ بضعة أيام، فقد ترغب فى انتهاز هذه الفرصة لمناقشة الموضوع مع نجلكم.

النشرة رقم (جـ)

نبذة من نشرة أرسلها ناظر إحدى المدارس الثانوية للبنين إلى أولياء أمور تلاميذ مدرسة قبل دعوتهم للاستماع إلى أحاديث بعض المحاضرين الزائرين المتخصصين فى موضوع التربية الجنسية.

.. طلبت إلىّ جمعية الآباء أن أعد محاضرات فى التربية الجنسية لتلقى على التلاميذ الذين يرغب آباؤهم فى ذلك. ولهذا فقد اتصلت بالإدارة المركزية للتربية الصحية وهى الهيئة المسئولة عن هذا النوع من المعلومات. وسوف يعقد اجتماع الآباء فى قاعة المدرسة فى يوم الإثنين الموافق.. سبتمبر الساعة ٦,٣٠ تماماً حيث يقوم المشرف التربوى للإدارة المركزية للتربية الصحية وهو الأستاذ.. بالحديث فى هذا الموضوع. وسوف يستعرض حضرته المسألة كاملة وسوف تعطى الفرصة للآباء ليوجهوا ما يعرض لهم من أسئلة.

مع ملاحظة أننا نزمع إعطاء المعلومات الخاصة بهذا الموضوع لجميع التلاميذ بما يناسب أعمارهم المختلفة، وسيقوم بهذا الأمر متحدثون من الإدارة المذكورة فى خلال موسم الشتاء. وسوف تتلقى كل فئة متجانسة فى العمر من الأولاد ثلاث محاضرات.

فإذا رغبتم فى اشتراك نجلكم فى الاستماع إلى تلك المحاضرات فالرجاء ملء البطاقة أدناه وإرسالها إلىّ بالمدرسة. مع العلم بأن (المجلس البلدى) سوف يتكفل ببعض نفقات تلك المحاضرات، على أن تتكفل المدرسة بباقى النفقات.

ولذلك فسوف يكون على كل تلميذ يستمع إلى تلك المحاضرات أن يدفع مبلغاً قدره شلن واحد.

(وتنتهى النشرة ببطاقة قابلة للانفصال كى يملأها ولى الأمر).

النشرة رقم (د)

أرسلها ناظر إحدى المدارس الثانوية الإنجليزية المختلطة إلى أولياء أمور التلاميذ قبل بداية سلسلة أحاديث فى التربية الجنسية ألقاها أحد الزوار الإخصائيين.

.. يشغل أذهان رجال التربية فى هذه الأيام ويستحوذ على تفكيرهم حاجة الشباب الملحة إلى تربية جنسية واضحة مفيدة وهم يستهدفون من ذلك ما نستهدفه جميعاً من خير للشباب.

إن أخبار الجرائد تذكرنا بأن الأمراض التناسلية أضحت خطراً متزايداً يتهدد الصحة العامة للبلاد، ومرجع هذا فى الغالب إلى الجهل؛ جهل شبابنا الذين يستسلمون للمعلومات المسممة التى يتضمنها كثير من المطبوعات الرخيصة وما يشاهدونه فى السينما من مناظر مثيرة، مما يدفع بهم دفعاً إلى التورط فى علاقات جنسية مربكة. وإن الكثير مما ينالونه من تربية جنسية مصدره زوايا الطرقات حيث يحصلون عليه بطرق غير مرضية فى الغالب.

(ويعقب هذا اقتراحات عن الطريقة)

وإنى إذ أكتب إليك بهذا فإننى أتطلع إلى أن ينال عملنا هذا تقديركم وعطفكم وإننا لنشعر بأنكم لا ترغبون فى حرمان نجلكم (أو كريمتكم) من تلقى هذه المعلومات بطريقة سليمة تقيهم العثار.

النشرة رقم (هـ)

أرسلها الناظر المشرف والصحى فى إحدى مدارس البنين الداخلية إلى أولياء أمور التلاميذ قبل التحاق أبنائهم بها.

..إننا لنكون جد شاكرين إذا تفضلتم وأعرتم الموضوع التالى ما هو جدير به من اهتمام خاص قبل التحاق نجلكم بالمدرسة فى الموسم القادم.

يلاحظ فى بعض الأحيان أن التلاميذ قبل أن يلتحق بالمدرسة الثانوية فى حوالى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، يكون قد تلقى معظم المعلومات الخاصة بالمسألة الجنسية – إن لم يكن كلها – من غيره من الأولاد؛ وفى كثير من الأحيان لا تؤدى هذه الطريقة فى اكتساب هذا اللون من المعلومات الأساسية إلى نتائج ضارة تذكر، ولكن مما لاشك فيه أنه من المرغوب فيه جداً أن تأتى هذه المعلومات مباشرة من شخص أدعى إلى الثقة، أى إما أن تأتى من الوالدين أو من شخص آخر يعرفه الصبى معرفة جيدة.

(ويتبع هذا اقتراحات عن الطرق)

وإنه ليسرنا حقاً إذا ما تفضلتم بإخبار المشرف الداخلى الذى سوف يناط به رعاية نجلكم عن المعلومات التى حصل عليها نجلكم فى هذا الموضوع وعن المدى الذى تحبون أن يصل إليه من المعرفة فى هذا الصدد.